صور

تتأصل المدنية بالوعي

السنة الثالثة / العدد ٣٢ / آب / ٢٠١٦

رياضة في مخيمات اللجوء وتحت الحصار

عن حارة اليهود الدمشقيّة

«المجتمع المدنيّ السوريّ» في الموسم الدراميّ للعام ٢٠١٦

سوريا.. المعادلات الصعبة لحروب الآخرين

بعد تحول سوريا إلى ساحة مفتوحة لكل الصراعات الدولية والتدخلات الإقليمية، أخذت الحرب أبعاداً أخرى تحول معها السوريون إلى ضحايا يتم استخدامهم بعضهم ضد الآخر لتحقيق أجندات خارجية، كما تحولت سوريا إلى مناطق نفوذ وسيطرة تتقاسمها دول الإقليم والقوى العظمى.

سوريا الآن داخل نفق مظلم لن تستطيع الخروج منه بسهولة، حتى لو رحل النظام، الذي يتحمل الجزء الأكبر من المسؤولية عن كل الكوارث التي يعيشها السوريون في الداخل وفي بلاد اللجوء. فأطراف الحرب باتت متعددة ومتشعبة، والاستقطاب بات بين عدد كبير من الفئات، وقد خرجنا منذ زمن من ثنائية نظام/معارضة إلى معادلات أكثر تعقيداً بكثير.

يصعب التكهن بالصورة التي ستكون عليها سوريا بعد أعوام، لكن من المؤكد أن السوريين سيعانون مرارة الحروب الطائفية والمذهبية والعرقية لفترات طويلة، كما سيعانون من التدخلات الإقليمية والدولية، وستعيش البلاد أزمة هوية كبرى، بعد أن توهمنا فيما مضى أننا نتعايش فيما بيننا ضمن هوية وطنية جامعة. وفي النهاية سيتشكل لسوريا وجهٌ جديد قد لا نتعرف عليه بسهولة ولا يوافق ما ألفناه عن بلادنا.

التهجير القسري والتغير الديموغرافي الذي يقوم به النظام في ريف دمشق (الزبداني – مضايا – داريا) ومناطق حمص يشي بكارثة تهدد وحدة سوريا، فيما يبدو أنه مخطط يتم تنفيذه عن طريق الهدن والمصالحات التي يفرضها النظام على السكان عبر سياسة التجويع والحصار.

كما أن التدخل العسكري التركي المباشر في جرابلس وريفها بحجة محاربة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) والاشتباكات الدائمة مع قوات سوريا الديمقراطية سيفتح طريقاً أمام حرب طاحنة بين المكونات السورية، ونخص بالذكر العرب والأكراد.

على الرغم من أن التوتر العربي الكردي قديم في المنطقة، حيث حصلت سابقاً أثناء الحرب السورية وقبلها مناوشات ومعارك بين الطرفين، فإن هذا الصراع الأخير يأتي لخدمة أجندات تركية خالصة لا مصلحة للسوريين فيها، وسيخسر بسببه الأكراد والعرب وغيرهم من الفئات كثيراً، ما لم يتم تدارك الأمر، وفتح الآفاق أمام حوار السوريين لإيجاد حلٍّ عادل للقضية الكردية، ووقف استخدام العربي في مواجهة الكردي والكردي في مواجهة العربي، وبهذا الحوار فقط يمكننا أن نجنب السوريين كثيرا من ويلات الحروب والتقسيم.

الفهرس

ملف ..... ص ٤

رياضة في مخيمات اللجوء وتحت الحصار

- سوريّان على رأس فريق اللاجئين في أولمبياد البرازيل
- أهالي الوعر يتحدّون الحصار بألف رياضيّ
- الهيئة العامة للرياضة والشباب محاولةٌ للعمل المؤسّساتيّ

حوار ..... ص ١٠

صوَر تحاور الفنان التشكيلي سعد الله مقصود

تقرير ..... ص ١٣

الكهرباء البديلة في إدلب.. أعباء تثقل كاهل المواطنين

رأي ..... ص ١٤

- سوريا.. علمانيةٌ زائفةٌ وخطرٌ أصوليّ
- من التفاوض إلى الحوار
- ما هو ضجيج الجبل؟

تحقيق ..... ص ٢٣

«المجتمع المدنيّ السوريّ» في الموسم الدراميّ للعام ٢٠١٦

إيقاع العدسة ..... ص ٢٨

نافذة على الحقوق ..... ص ٣٠

الخدمات القانونيّة المجانيّة للاجئين السوريين في الأردن

اقتصاد وتنمية..... ص ٣٢

النظام السوريّ يسعى إلى محاربة المقاطعة الاقتصادية بالأسواق الكازاخستانية

منوعات..... ص ٣٤

عن حارة اليهود الدمشقيّة

ثقافة..... ص ٣٦

وجوهٌ مختلفةٌ لسوريا واحدة

بورتريه..... ص ٣٨

ناجي عبيد.. آخر نازيّي العرب..

منظمات ومشاريع ومبادرات ..... ص ٤٠

الديك ..... ص ٤٢

بونجور مدام.. أورس بو

تتأصل المدنية بالوعي

مجلة شهرية مستقلة تعنى بالشأن المدني وحرية التعبير وحقوق الانسان

للتواصل وإرسال المساهمات والمقترحات

Email: info@suwar-magazine.org

Facebook: suwar-magazine

website: www.suwar-magazine.org

المقالات المذيلة بأسماء أصحابها تعبر عن آرائهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو فريق التحرير

رياضة في مخيمات اللجوء وتحت الحصار
فصول من سيرة الرياضة السورية في زمن الحرب

سوريّان على رأس فريق اللاجئين في أولمبياد البرازيل
كمال السروجي

أهالي الوعر يتحدّون الحصار بألف رياضيّ
محمد همام زيادة

الهيئة العامة للرياضة والشباب: محاولةٌ للعمل المؤسّساتيّ
أحمد العلي

سوريّان على رأس فريق اللاجئين في أولمبياد البرازيل

كمال السروجي

أدّت موجة اللجوء الجديدة التي اجتاحت العالم، وفجّرها السوريون الفارّون من حرب النظام السوريّ على شعبه، إلى موجة تعاطفٍ رياضيٍّ دوليّ، توّجت بزيارة رئيس اللجنة الأولمبية الدولية توماس باخ إلى اليونان، وإعلانه منها عن تشكيل أوّل فريقٍ خاصٍّ باللاجئين في التاريخ، ليشارك في أولمبياد ريو دي جانيرو البرازيلية في صيف العام الجاري.

وقال رئيس اللجنة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة إن الهدف من الفريق هو: «مساعدة الرياضيين اللاجئين رفيعي المستوى على تحقيق حلمهم في التفوّق الرياضيّ حتى عندما يضطرُّون إلى الفرار من العنف والجوع. هذه الخطوة رمزٌ للأمل لجميع اللاجئين في عالمنا، وهي ستلفت نظر العالم بشكلٍ أفضل إلى حجم الأزمة».

يسرى ماردیني

رامي أنيس

مشاركةٌ سوريةٌ فاعلة

لم تمنع قسوة الظروف السوريين من النظر باتجاه المستقبل لمتابعة أحلامهم التي بدأوها في سوريا. **يسرى ماردیني** (١٨ عاماً)، التي غادرت مدينتها دمشق في العام ٢٠١٥ نحو لبنان باحثةً عن فرصٍ جديدةٍ في رياضة السباحة التي طالما طمحت للمشاركة من خلالها في بطولاتٍ عالمية؛ توجّهت بعد ذلك إلى تركيا، قاصدةً اليونان بطريقةٍ غير شرعيةٍ في رحلةٍ أشبه بالروايات؛ إذ تعرّض الزورق الذي استقلته وأختها سارة للغرق، ما اضطرّهما إلى القفز منه تخفيفاً للحمولة، وقامتا بجرّه بالحبال لمدة ثلاث ساعاتٍ متواصلةٍ وصولاً إلى شاطئ إحدى الجزر. وبعد الرحلة المحفوفة بالمخاطر قررت يسرى الاستقرار في ألمانيا، وانتسبت إلى أحد نوادي السباحة في العاصمة برلين، وتمكنت، خلال فترةٍ قصيرةٍ وبعد تدريباتٍ مكثفة، من الانضمام إلى فريق اللاجئين للمشاركة في أولمبياد ريو البرازيليّ.

أما **رامي أنيس** (٢٥ عاماً) ابن حيّ حلب الجديدة، وسبّاح نادي الجلاء سابقاً،

والحاصل على ثلاث ذهبيات على المستوى العربيّ، وفضية على المستوى الآسيويّ، والمركز السابع عالمياً، إضافةً إلى عددٍ كبيرٍ من المشاركات الدولية الأخرى؛ فقد اضطرّ إلى مغادرة مدينته قاصداً تركيا، ثم بلجيكا عبر مدينة إزمير، بسبب المخاطر الأمنية.

يتحدث أنيس للمجلة عن طريقة انضمامه إلى منتخب اللاجئين قائلاً: «سمعت من أحد الأصدقاء أن اللجنة الأولمبية الدولية بصدد تقديم منحةٍ لعشرة رياضيين لاجئين للمشاركة ضمن فريقها الخاصّ في أولمبياد البرازيل، فسارعت إلى مراسلتها، وكان ردهم إيجابياً ومشجعاً. وفي الثالث من حزيران تمّ اختياري ضمن عشرة لاعبين هم أعضاء الفريق الذي يضمّ سوريَّين اثنين: أنا ويسرى ماردينى».

وعن نشاطاته الحالية يقول لصوَر: «في هذه الأيام أتلقى تدريباً مكثفاً تحت إشراف اللجنة الأولمبية التي وفرت جميع متطلباتي. أجريت معسكراً تدريبياً مغلقاً في إسبانيا، وأحضّر حالياً للمشاركة في بطولة فرنسا المفتوحة للسباحة في تموز المقبل، وبعدها سأتوجه إلى هنغاريا لإجراء معسكرٍ تدريبيٍّ مع نادي «ميغا» البلجيكيّ الذي أتمرّن في صفوفه، وبعدها سأتوجه إلى البرازيل».

ويتابع: «صحيحٌ أني غادرت سوريا لكنها لم تفارقني لحظة. ورغم أنني سأشارك باسم اللجنة الأولمبية لكن قلبي وروحي معلقان ببلدي».

ويضيف: «رغم الظروف القاسية التي يمرّ بها السوريون في كلّ مكان، أنا متأكدٌ من أننا شعبٌ جبارٌ لا يعرف الهزيمة، وسننتصر في النهاية. وسأبذل كلّ جهدي لإيصال معاناة السوريين في المحفل الرياضيّ الأهمّ في العالم».

ولم تقتصر مشاركة السوريين في المحفل الرياضيّ الأهمّ على المسابقات، إذ شاركت الطفلة **حنان دقة**، ابنة مدينة إدلب واللاجئة في البرازيل بعد إقامتها في مخيم الزعتري بالأردن، في حمل الشعلة الأولمبية، وركضت بها، في أيار الماضي، عبر منتزه «إيسبلاناد» البرازيليّ، بعد وصولها من مدينة لوزان السويسرية إلى البرازيل، في بداية مسيرة الشعلة التي ستتنقّل في ٣٠٠ مدينةٍ برازيليةٍ نحو مقرّ افتتاح الألعاب الأولمبية، التي ستبدأ في الخامس من آب المقبل.

حنان دقة

أهالي الوعر يتحدّون الحصار بألف رياضيّ

محمد همام زيادة

ألف رياضيّ

بدأت فكرة المهرجان في العام الماضي، انطلاقاً من ضرورة إعادة نبض المجتمع والأنشطة المدنية إليه بعدما طغى صوت المعارك والحصار. ويشارك في النسخة الثانية منه هذا العام نحو ألف رياضيٍّ من مختلف الأعمار، بدءاً من الأطفال وصولاً إلى أعمارٍ فاقت السبعين عاماً. ويتنافسون في إحدى عشرة لعبةً هي: كرة الطاولة وكرة السلة وكرة القدم وكرة الطائرة والجمباز والجودو والريشة الطائرة والكاراتيه والكيك بوكسينغ والشطرنج والجري.

يقول رئيس اللجنة التنفيذية للهيئة العامة للرياضة والشباب بحمص، الحكم الدوليّ عبد العزيز الدالاتي، للمجلة: «نحيّي مشاركة كبار السن لأنهم يعزّزون الإرادة بالغد الأفضل».

ويتابع: «نحاول التركيز على الفئات العمرية الصغيرة لأنها الأمل ومستقبل الرياضة السورية الحرّة».

وسبقت بداية المهرجان تحضيراتٌ استمرّت لمدة شهرٍ متواصل، تخللتها صعوباتٌ كبيرةٌ بسبب صعوبة إدخال التجهيزات في ظلّ القيود التي تفرضها حواجز النظام المحيطة بالحيّ. وعنها يتحدث الكابتن الدالاتي لصوَر قائلاً: «عندما وصل الخبر إلى مسؤولي النظام بحمص عن النية بإقامة مهرجانٍ رياضيٍّ، أصبح التدقيق مضاعفاً على الحواجز لمنع دخول أيّ تجهيزاتٍ رياضيةٍ إلى الوعر، ورغم كل ذلك استطعنا تذليل العقبات ومتابعة العمل».

وينوّه الدالاتي إلى أن الاتحاد الرياضيّ العام التابع للنظام لم يعد بمقدوره تنظيم منافساتٍ في الرياضات القتالية بسبب انحياز معظم اللاعبين لصالح الثورة وسكنهم في المناطق المحرّرة.

حضورٌ غفير

لقي المهرجان حضوراً غفيراً من كافة شرائح المجتمع، وكانت المنافسات حماسية. تقول السيدة أم جمال للمجلة: «دعوت جميع جاراتي إلى الذهاب ومتابعة ابني وهو يقدم عرض الكاراتيه. تحولت البطولة إلى مهرجانٍ وعرسٍ علت فيه الضحكات والأغاني والتشجيع».

وتتابع: «لم يكن يخطر في بالي قبل الثورة متابعة الرياضة، واليوم أصبحت مهتمةً بها، ألاحق نشاطاتها في الوعر أينما وجدت. هذه الأنشطة تنسينا هموم الحصار ومتاعب الحصول على متطلبات الحياة».

في حين تقول المرشدة الاجتماعية هدى حداد للمجلة: «من أفضل الطرق لإخراج الأطفال من جوّ الحصار والحرب ممارسة الأنشطة الجسدية والفكرية كالرياضة. وحيّ الوعر غنيٌّ بخبراته في هذا المجال».

التغطية الإعلامية

حضرت المهرجان وسائل إعلام محليةٌ، وغابت كثيرٌ من القنوات التلفزيونيةً الكبيرة، معللةً ذلك بسياساتها التحريرية.

يقول الكابتن الدالاتي: «تواصلنا مع الكثير مع الشبكات التلفزيونية، وأبدوا إعجابهم بالمشروع، لكنهم اعتذروا بحجة سياسات النشر، إذ يركزون في تغطيتهم الصحفية في المناطق المحاصرة على واقع الحياة وظروفها».

ويضيف: «في المقابل قامت مواقع إنترنت وصحفٌ بتغطية الحدث، ونشكرهم على التعاون».

انطلقت منذ أسابيع فعاليات مهرجان حمص الرياضيّ بحيّ الوعر، بتعاون الفعاليات المحلية مع الهيئة العامة للرياضة والشباب، وبدعمٍ وبتمويلٍ من البرنامج السوريّ الإقليميّ. ويأتي المهرجان في ظروفٍ عصيبةٍ يمرّ بها الحيّ بعدما أعاد النظام إطباق الحصار عليه، تحت أنظار الأمم المتحدة التي رعت بشكلٍ مباشرٍ الهدنة المنقوضة.

واضطرّ القائمون على المهرجان إلى إيقافه بعد بدء منافساته بخمسة أيام، بسبب القصف المستمرّ من قوات النظام، والذي أدى إلى إيقاع عددٍ من الضحايا.

يقول الإعلامي رضوان الهندي لمجلة صوَر: «قرر الأهالي ورياضيو الحيّ إطلاق رسالةٍ للعالم مفادها أننا هنا وما زلنا صامدين وسنمارس الرياضة وأعيننا تتطلع نحو مستقبلٍ أفضل».

الهيئة العامة للرياضة والشباب: محاولةٌ للعمل المؤسّساتيّ

أحمد العلي

بدأت مسيرة الرياضة السورية الحرّة مع بدء انشقاق الرياضيين والإداريين عن المؤسّسات الرياضية التابعة النظام وانضمامهم إلى صفوف الثورة. ومع ازدياد أعدادهم أصبح من الأهمية بمكانٍ البدء بتشكيل مبادراتٍ لتنظيم شؤونهم. وقد بادر ٩ رياضيين، خلال عام ٢٠١٣، إلى تشكيل نواةٍ تجمعهم، وتمكنوا من جمع ٤٠ طلب انتسابٍ إلى الاتحاد الرياضيّ الحرّ قيد الإنشاء، الذي عقد اجتماعاته الأولى في مدينة حلب. ومع مرور الأيام تطور التواصل، لينضمّ إليهم ٤٠٠ رياضيٍّ من المنطقة الشرقية بقيادة الكابتن المخضرم وليد مهيدي، وآخرين من مناطق سوريةٍ عدّة. وتمّ الإعلان عن تشكيل «الهيئة العامة للرياضة والشباب» في مدينة أورفا جنوبيّ تركيا بعد اجتماعاتٍ ماراثونية.

يقول ثائر العوض، رئيس الاتحاد السوريّ للتاي والكيك بوكسينغ، لمجلة صوَر:

«بدأت الفكرة من أن الرياضيين السوريين المنشقين عن نظام البعث لا بدّ أن يعودوا ليمارسوا نشاطهم الثوريّ في مجالهم، خصوصاً أن فئة الرياضيين وقعت بين مطرقة البعث الرياضية وسندان الاعتراف الأولمبيّ والعربيّ والدوليّ بهم كممثلين لسوريا في المحافل الدولية بعد انشقاقهم، ولذلك ترتبت علينا مسؤولياتٌ ثقيلة. ووفاءً لزملائنا الذين قضوا شهداء ومعتقلين قبلنا هذا التحدي، رافعين شعار «رياضةٌ حرّةٌ مواكبةٌ للثورة»، فتمّ استقطاب أهمّ الكوادر الرياضة السورية المنشقة عن النظام».

هيكليةٌ مؤسّساتية

اعتمد القائمون على الهيئة هيكليةً إداريةً جديدة، متكئين على تجارب دول الجوار المتقدمة في هذا المجال، ومستفيدين من خبراتهم المتراكمة في مؤسّسات النظام. وقاموا بتغيير تسمية الاتحاد الرياضيّ العام، الذي كان من المؤسّسات الرديفة لحزب البعث، إلى الهيئة العامة للرياضة والشباب، وهي هيئةٌ مدنيةٌ بحتةٌ غير مرتبطةٍ بأجنداتٍ سياسيةٍ أو حزبية، سوى انتمائها إلى الثورة السورية وأهدافها العامة.

يقول الرئيس المؤقت للهيئة، عروة قنواتي، لصوَر: «لدينا الآن ٦ لجانٍ تنفيذيةٍ في محافظات حلب وإدلب وحمص ودرعا ودير الزور وريف دمشق، و١٠ اتحاداتٍ رياضيةٍ لألعابٍ فرديةٍ وجماعية، وعلى قوائمنا أكثر من ١٢٠ ناديًا في المناطق المحرّرة ودول اللجوء، وخمسة منتخباتٍ وطنيةٍ لكرة القدم والكاراتيه والكيك بوكسينغ والووشو كونغ فو والسباحة، بعددٍ إجماليٍّ يزيد على خمسة آلاف رياضيٍّ وإداريٍّ في مختلف مناطق سوريا المحرّرة».

مشاريع طموحة

وضعت الهيئة خطةً متعددة الجوانب، قصيرةً ومتوسطة الأمد، لمتابعة المسيرة الرياضية، وسجلت على سلم أولوياتها ضرورة فرض حضورها في المحافل الدولية، محاولةً سحب الشرعية من الاتحاد الرياضيّ العام التابع النظام، والذي ما زال يمثل سوريا بشكلٍ رسميٍّ في غالبية البطولات والاتحادات الدولية، مع تجميد غالبية نشاطاته الرياضية لعدم وجود الرياضيين وغياب التمويل عن منتخباته.

يقول قنواتي: «سحب الشرعية من النظام في الاتحادات الرياضية الدولية هو نصرٌ عامٌّ للثورة السورية، وللرياضة خاصة، لأن الرياضة من أكثر الأنشطة المدنية التي تعكس حضارة الشعوب». ويتابع: «إن تمكنا من هذا الأمر ستتطوّر الرياضة الحرّة بشكلٍ كبير ويصبح رياضيونا ممثلين شرعيين لسوريا في العالم، لإيصال معاناتنا إلى الجميع».

إضافةً إلى ذلك تسعى الهيئة، في خطّتها القصيرة والمتوسطة، إلى تفعيل النشاطات لمختلف الفئات العمرية، مركزةً على الجيل الجديد الذي يعدّ مستقبل سورية الواعد كما يُجمع القائمون على الهيئة في حديثهم للمجلة.

وتعمل الهيئة على تنظيم دوراتٍ فنيةٍ لتأهيل كوادر شابةٍ تقود الحركة الرياضية بشكلٍ مثقفٍ وواعٍ بما يتناسب مع التطور الحاصل في بلدان المنطقة.

سامر زيدان، رئيس اللجنة التنفيذية الرياضية في محافظة حلب، ولاعب بناء الأجسام، يقول للمجلة: «إضافةً إلى ما سبق، نركز على تكثيف الأنشطة والبطولات الداخلية والمعسكرات المشتركة للمنتخبات بهدف رفع المهارات. ومن جانبٍ آخر نسعى جاهدين إلى تفعيل دور الشباب والرياضات المدرسية التي تشكل نواةً لاكتشاف المواهب الهامة».

حصاد البطولات

حقق الرياضيون المنضمون إلى الهيئة عدداً من الإنجازات الدولية، رغم القيود التي تعوقهم وصعوبة سفر الكثير منهم بسبب عدم امتلاكهم وثائق سفر. فقد تمكن لاعب الكاراتيه علي البارودي من انتزاع ميداليةٍ ذهبيةٍ في بطولة أثينا الدولية الودية عام ٢٠١٣، وحصل إلهام عبد الغفور على برونزيةٍ في البطولة نفسها، إضافةً إلى فضية أنس محمود في بطولة قطر الدولية للسباحة بالمياه المفتوحة، و٣ برونزياتٍ لمنتخب سوريا للسباحة في بطولة قطر الدولية السابعة خلال ٢٠١٥، وبرونزية بطولة لوكسمبورغ الدولية الأوربية، وعدة ميدالياتٍ في رياضة الووشو كونغ في بطولة البلقان الدولية.

تحدياتٌ ومعوقات

تعاني الرياضة السورية الحرّة من عوائق تؤخر وصولها إلى الشكل الذي يطمح إليه محبوها. وبالإضافة إلى الاستهداف الممنهج من قوّات النظام وحلفائه لجميع المدنيين في المناطق الواقعة ضمن سيطرة المعارضة، يعدّ ضعف الإمكانيات والتجهيزات أهم العوائق. فالاتحادات غير مدعومةٍ بشكلٍ مستمرّ، ولذلك تخرج بطولاتها خجولةً وخصوصاً في الداخل، كما يقول رئيس اللجنة التنفيذية بحلب سامر زيدان لصوَر.

ويتابع: «تشكل هجرة الخبرات إلى خارج سوريا، هرباً من قصف النظام وبحثاً عن فرصٍ أفضل، عاملاً معيقاً آخر».

ويشير زيدان: «لا نستطيع أن نمنع أحداً من الهجرة، لكننا نتمنى أن يستمرّ الرياضيون الأحرار في حمل قضية بلدهم وشعبهم أينما حلوا ورحلوا». ويتابع: «هناك نقطةٌ أخرى هي وجود بعض ضعاف النفوس الذين يضعون العصيّ في دواليب عجلة الرياضة الحرّة التي حققت إنجازاتٍ كبيرةً بالنظر إلى الزمن القصير لعمر الهيئة».

أما الرئيس المؤقت للهيئة فيقول للمجلة: «لا يوجد تمويلٌ ثابتٌ للهيئة. ويأتي أغلب تمويلها من منظمات مجتمعٍ مدنيٍّ سوريةٍ أو أجنبية، نقوم بطرح المشروع عليهم ويوافقون على تمويله». ويضيف: «دمار البنية التحتية، كالملاعب والصالات، يشكل صعوبةً إضافيةً للرياضيين في الداخل».

منتخب كرة القدم

أُعلن، في الشهر الخامس من العام الماضي ٢٠١٥، عن تشكيل منتخبٍ وطنيٍّ لكرة القدم، في مدينة كلس جنوبيّ تركيا. واختير الفريق من ضمن عددٍ كبيرٍ من الرياضيين المنشقين والمقيمين في مناطق المعارضة وتركيا. وبدأ المنتخب بإجراء تدريباته الأولية في المنشآت الرياضية التركية، معتمداً على تبرّعاتٍ فرديةٍ وأخرى صغيرةٍ من بعض المنظمات، ثم وقع عقداً مع مؤسّسة عبد القادر السنكري لمدة سبعة أشهر، ليعلن عن توقف تدريباته بعد انتهاء مدة العقد بسبب غياب التمويل وبعض الأخطاء المرتكبة من قبل القائمين عليه.

يقول المشرف السابق على المنتخب لصوَر: «كان العرض الجديد الذي قدمته مؤسّسة السنكري غير مناسبٍ بالنسبة إلينا لتطوير المنتخب، إضافةً إلى وقوعنا في عددٍ من الأخطاء الإدارية والتنظيمية بالنسبة إلى العمل الرياضيّ. ونشكرهم على دعمهم السابق للمنتخب». ويتابع: «سنحاول في الأيام القادمة تفادي الأخطاء التي وقعنا فيها، باحثين عن تمويلٍ ذاتيٍّ أو مصادر تمويلٍ دائمةٍ توصل المنتخب ليكون ممثلاً حقيقياً للرياضة الحرّة».

ما الذي يفكّر فيه الإنسان في لحظة الموت؟

سعد الله مقصود: لو كان ثمة تقمّصٌ واخترت، لاخترت أن أكون صخرةً يتبوّل عليها طفلٌ غاضب

حاورته: سناء إبراهيم

- ولد في مدينة طرطوس، سورية، عام ١٩٦٦
- تخرج من كلية الفنون الجميلة بدمشق / قسم التصوير عام ١٩٩٠
- يعمل في مجال الإعلان والتصميم الغرافيكي.
- ابتكر عدة فعاليات ذات صلة بالفن السوري مثل حملة الفن للجميع وله كتاب عن الفنان الراحل لؤي كيالي ومفكرات فنية.
- أعماله مقتناة من قبل وزارة الثقافة اللبنانية وضمن مجموعات خاصة.

الألم، الانتظار، الرصيف، التنفس، الكتابة، السياسة، توقعات ما سيحدث وما حدث؛ كلها تزول مع حكايةٍ اسمها الموت. هو المجهول، السؤال، ربما منتج الديانات والتأمل، وحتى ربما منتج الإنجاب والقصائد.

وعلى الدوام ثمة سؤال، ليس للتداول، مع أنه سؤال:

ما الذي يفكّر فيه الإنسان في لحظة الموت؟

هو سؤالٌ لا يوجّه للموتى، فهم الأكثر استخفافاً بأسئلة الأحياء، ولكنه يوجّه لمن يواجه الموت، بالاحتضار، بالمرض القاتل، بوهم الوهم.

حسناً، ما دام الأمر كذلك، من لديه من الشجاعة أن يسأل هذا السؤال لمحتضرٍ؟ وأيّ محتضرٍ له رغبة البوح بما لا يسع مدمناً على الحياة أن يجيب عنه؟

اثنان يباغتان بعضهما بهذا السؤال، سعد الله مقصود، الشاعر السوريّ الذي يعاني مرارة المرض المتوحش، ورجلٌ آخر لن يسمح لي بذكر اسمه (مع أنه منحني الرسائل المتبادلة بينه وبين سعد الله) والتي يمكن اختزالها على هيئة حوار.

هل سيكون من حقي أن أثبت السؤال والجواب؟

منحاني هذا الحق، وعليه كان السؤال الأول:

سعد الله، قل لي، كيف يتراءى لك الموت؟

فيه من سواده أكثر من بياضه. عاطلٌ عن الأعمال المهنية «المهينة» ومشغولٌ بما تبقى له ومعه وحده. أعيش روتيناً يومياً خانقاً وألماً مقرفاً بعد كلّ جلسة أشعة، فذاك الخبيث يحاول أن ينهش دماغي كلما ظهر مجدداً، وهو لا يختفي إلا ليظهر. لكن المهم أننا ما زلنا على قيدها (تلك الحياة). فـ ليكن ما يكن، فليس هناك من إغراءٍ سوى الإغراء الأخير (الموت).

الكائن الوحيد الذي لا بدّ من وصوله، هكذا تحكي لصديقك.. شريكك في سؤال الموت؟

نعم.. الموت هو الحيّ الوحيد الذي نضمن وصوله في موعده. وها نحن بانتظاره، ولن نستعجله.

والوقت؟

لست مرتاحاً مع الوقت، لذلك فهو يلتهمني بسرعة. يريد أن ينهي كل هذه الفوضى قبل أن يقرع ذاك الغريب بابي، فأخرج للمرّة الأخيرة.

((عندما أصل إلى الباب
لن يكون من حقي أن ألتفت ولو لمرّةٍ أخيرة
فقد وصلت إلى الباب لأخرج))

هل يزعجك هذا النوع من الأسئلة؟

لا يوجد أقسى منها على الإطلاق، ومع ذلك أعتبرها بروفا.

ما الذي يفكر فيه إنسانٌ في لحظة احتضار؟

طالما فكرت في لحظة الاحتضار كثيراً، حتى أني رسمتها في مخيلتي. لم أفكر إلا في من صرفت حياتي معهم، أريدهم أن يكونوا بجانبي كي أدخل العدم مطمئناً.

تقول الاحتضار.. ما هو الاحتضار؟

الاحتضار هو أن لا تجد نفعاً أو معنىً لما تفعله، ولا جدوى لما تبقى لك من وقت. هل أنت من ينتظره الآخرون لتقول الكلمة الأخيرة فيستمعوا لك؟ هل نسيت الملايين الذين يصرخون منذ عشرات السنين منادين بروعة الحياة والمعنى؟ لكنك تعود وتقول لا بأس، عليّ أن آخذ هذا الاحتضار إلى جهةٍ أخرى، عليّ أن أبقي جذوة الحياة متقدةً فيه. لا يهم الجسد، جسدي لا يعنيني، ما يعنيني أكثر هو ما تسبّب في احتضار هذا الجسد، ما تسبّب في موته. سآخذ هذا الاحتضار ليمنح موتي خلوداً ما، ولو بين يدي إنسانٍ واحد، واحد فقط، سأترك حياتي بين يدين ما، شخص يقرأني بمحبة، يتفرّج على لوحتي بفرح، ويقرأ قصيدتي فتمتلئ عينيه بالدموع.

((يقرَعُ الجرَسَ غريبٌ،
فأصرخُ مذعوراً، اتركني وشأني يا غريبُ!!))

أما أنا فأعيش احتضاري كلعبة، أراقب نفسي وجسدي كيف يتغيران، كيف عليّ أن أتقبل الموت البطيء وهو يتسلل كلصٍّ داخل خلاياي، كفكرةٍ طائفية، كجنديٍّ من جنود الله الكريهين بسيفٍ وحربة، جميعهم يقتحمون خلاياي ويعملون تمزيقاً في أوردتي.

لا أفكر كثيراً في أن السرطان موجودٌ هناك ويقوم بنفس الشيء. السرطان مسكين. هو مثلنا، مجرّد خطأ بيولوجيٍّ عجزنا عن فهمه فحمّلناه المسؤولية. أن تكون مجرد خطأ بيولوجيٍّ هو أمرٌ يمنحك الكثير من الحصانة ويستدعي عطف الآخرين ممن يعتقدون أنهم أحسن حالاً منك ولو بيولوجياً، مع أن الخطأ البيولوجيّ هو فقط مع فرق التشخيص والتسمية، وربما قليل من الأعراض، لكنه خطأ بيولوجي. مثلاً: مخرجةٌ سينمائيةٌ تشبه ماكنة حصاد عرانيس الذرة تعتقد نفسها جميلة؛ شاعرٌ شابٌّ لا يتوقف عن نشر صوره قبل قصائده متجاهلاً كونهما خطأين بيولوجيين؛ مفكرٌ وحكيمٌ ومنظّرٌ لثوراتٍ هي بحدّ ذاتها خطأ بيولوجي. في النهاية لا بدّ من القفز فوق كلّ هذا، فكلّ هذا سخيفٌ ومثيرٌ للسخرية. الاحتضار الحقيقيّ عندما لا تتمكن من قتل كلّ الأفكار الكبيرة واللّماعة والمعتقدات الكسولة. الاحتضار الحقيقيّ هو أن تبقى واقفاً عند العتبة يتملكك الرعب من مغادرة البيت الذي يحوي كلّ ما يمنعك من التحليق.

وكأنك تكتشف الكذبة.. الكذبات الصغرى؟

والأكاذيب الكبرى أيضاً.

مثل ماذا؟

مثل الله، العدل، المساواة، الإخاء، الجنة والنار، العائلة، الوطن المعتم كقبر، هذا هو الاحتضار. والأكثر هو أن لا تكون لديك الفرصة لتعلن أنك لست جزءاً من كلّ هذا، وأنك تنكرها جميعها.

ماذا عن احتضار الجسد؟

احتضار الجسد مؤلمٌ كفكرة، لكنها في النهاية مريحةٌ كمخدر. إنها نهايةٌ للآلام والآمال، لا يهم ما الذي سيكون بعدها، إن كان هناك شيء ما. هو الموت، بما يعني النهاية، نهايتك الكاملة، الجسدية والروحية. إذ لن يتبقى منك -ولوقتٍ قصيرٍ- سوى بضع غرامات من الزبالة العضوية، وبضع صورٍ شخصيةٍ تحتفظ بها في جهازٍ إلكترونيّ، بكلمة سرٍّ، لن يأبه أحدٌ إليه.

هؤلاء سيكونون في وداعكَ؟

سأكون فقط أنا وموتي، سيشدّ أحدنا عزيمة الآخر، سأتّكئ على صدره، وسيغمض عينيَّ بلطفٍ كي لا أرى وجهه، وجه موتي اللطيف.

ذاكرة المحتضر قاصرة.. فضفاضة.. كثيفة.. كيف تتراءى لك؟ ما هو موقع العامّ من الخاصّ في تلك اللحظة؟

يصمت سعد الله عند هذا السؤال، فثمة إعياءٌ بيولوجيٌّ أصاب الرجل، غير أن أسئلة رفيقه في لعبة النصّ تتدحرج بغزارةٍ وكأنها متلهفةٌ على من يجب:

ما هو هذا الكوكب الذي غادرته؟ من يحكمه ويتحكم فيه؟ هذا الله الذي أذهب إليه، ما هو خيالي عنه.. من هو؟ أيّ ذاكرةٍ حملت معي.. ذاكرة الكاتب.. ذاكرة الرجل.. ذاكرة المرأة.. ذاكرة البيئة؟ هذا النصّ الذي كتبته.. لمن؟ من سيقرأه؟ كيف سيقرأه؟ كيف كتبته؟ بلادي كيف ستكون بعد مئة سنة.. بعد سنة.. من هذه اللحظة؟ هل من متعةٍ لو كان في هذا العالم تقمّص؟ ما هو الشكل الذي أبحث عنه في جيلي المقبل؟ أيّ امرأة أريدها أمي؟ أيّ بلادٍ أرغب في أن أنتقل إليها؟ ما الذي سيكتبه أصدقائي عني سوى: رحمه الله أو السلام لروحه؟ حين أغادر.. من هم زملائي الجدد من الموتى؟

يتوقف سعد الله عن الإجابة، وبعدها تتداعى إجابةٌ لن نقطعها بالسؤال:

أودّ بشدةٍ إغلاق كل الأبواب خلفي، والدخول في الصمت الذي لا همسة بعده. صدقيني، الحياة تجربةٌ ناقصةٌ دائماً، وأنا تعبت من هذا النقصان. لا أملُ بأيّ إلهٍ مما يستدعي معه فرصة حياةٍ أخرى أو امتدادٍ لوجودٍ ما. مررنا بكيانٍ محدّد الهوية والدور والوظيفة، شيء يشبه الخدمة الإلزامية في جيشٍ كونيٍّ لا نعرف حجماً له، فتخيلي الورطة وكمية الأسئلة.

ستكون لحظة المغادرة، وآمل أن أتخفف من عبء هذه اللحظة، ستكون لحظة تشبثٍ ربما بما ستعتقد أنه لك، وأنه سيكون من الصعب عليك التخلي عنه؛ ذكرياتك، همس المحيطين بك، نظرات المودعين وحزنهم وربما استعجالهم ومللهم، فهذا كلّ ما سيتبقى لك. وإن كنت محظوظاً ستحصل على فرصة أن تذوي بهدوءٍ وصمت، نقياً من الذكريات، كمسافرٍ بحقيبةٍ فارغة، فليس هناك ما تحتاجه سوى أن تُترَكَ وحدك، لأن كلّ ما سيقال لحظة رحيلك لن يعني شيئاً ما لم يُقَل في وجودك. سيحافظ الآخرون على الصورة التي رسموها عنك طيلة سنوات، لن تكون يوماً أنت، ستكون للأبد تلك الصورة! لا سيما أنه لا أمل في وجود إمكانية تقمّصٍ ما، وجود آخر يربت على كتف روحك الجريحة في هذه الأرض المجهولة، وإلا لكنتُ اخترتُ -إن خُيّرتُ- أن أكون صخرةً يبول عليها فتيةٌ ناقمون على كلّ شيء.

أرغب في أن تكون لحظة المغادرة استثنائية، لحظةً لإلقاء نظرةٍ على حجم هذا الكوكب المحشوّ بالواهمين، شذاذ الآفاق، المدّعين، الأنبياء المزيفين، دعاة الموت. لحظة تخففٍ من كلّ ما كان يأخذ شكل عبءٍ على روحك، ولحظة أن تشهق آخر ضحكةٍ في وجه كلّ هذا وتغيب.

الكهرباء البديلة في إدلب ..أعباء تثقل كاهل المواطنين..... سونيا العلي

نالت الكهرباء نصيبها من الحرب الدائرة في سوريا، التي تسببت بفقدانها من معظم المناطق التي تسيطر عليها المعارضة، لكن محافظة إدلب تعد الأكثر تضرراً لأنها خسرت الكهرباء منذ بداية الثورة بعد قيام عناصر النظام بقصف وتدمير محطات توليد الطاقة الكهربائية والشبكات الرئيسية وفي مقدمتها محطة زيزون التي كانت تغذي المحافظة بشكل كامل كنوع من الانتقام من المدنيين، لذلك عاش أهلها في عتمة، وتوقفت معظم المصالح والأعمال، ومع طول أمد انقطاع الكهرباء أصبح البحث عن بدائل أمراً ملحاً.

اعتمد الناس بداية على بطاريات السيارات لإنارة منازلهم ثم ظهرت المولدات الكهربائية وراجت تجارتها في معظم قرى وبلدات ريف إدلب حيث يتم استخدامها في المنازل والمشافي والمخابز على حد سواء.

أبو عماد وهو مالك لإحدى مولدات الديزل في معرة النعمان يتحدث لمجلة صور قائلاً :» يوجد في المدينة عدة مولدات تغطيها بشكل شبه كامل، فقد تم مد شبكة منها إلى المنازل المستفيدة وتتحدد كمية الكهرباء الواصلة إلى كل منزل حسب الطلب عبر قاطع أمبير، ووصل سعرالأمبير إلى ٢٥٠٠ ليرة سورية، ونقوم بتشغيل المولدة خمس ساعات يومياً، وتنخفض المدة في أيام غلاء مادة المازوت. «

لم تكن المولدات الحل الأمثل لمشكلة الكهرباء أمام كثرة العراقيل التي تواجهها من تلوث وضجيج و ارتفاع سعر الوقود تارة وانقطاعه تارة أخرى وصعوبة نقله من محافظة الرقة نظراً لخطورة الطريق بسبب القصف والمعارك الدائرة إضافة إلى حاجتها لصيانة دورية وتكاليف إضافية يتحملها المستخدم كل فترة نتيجة إصابتها بأعطال مستمرة، كل هذه الأسباب جعلت أهالي إدلب يلجؤون إلى شراء ألواح الطاقة الشمسية التي وجد فيها البعض الحل الأنسب والأفضل نظراً لتوافر هذه الطاقة في بلادنا بشكل كبير وشبه دائم ،وكونها من أنواع الطاقة النظيفة مقارنة مع المصادر الأخرى كالنفط ومشتقاته.

سامر المخزوم من معرة النعمان صاحب محل لبيع أجهزة الطاقة الشمسية يقول :» هناك إقبال متزايد من قبل الناس على استخدام الطاقة الشمسية لتغذية المنازل بالكهرباء، ولكن ارتفاع أسعار معداتها تحد من استخدامها على نطاق أوسع، فهي اليوم تقتصر على الميسورين نظراً لكلفتها الشرائية العالية لأننا نستورد أجهزتها من الخارج بالقطع الأجنبي حيث تبلغ تكلفتها حوالي ٢٠٠ ألف ليرة سورية، يحتاج كل منزل إلى لوح الطاقة الشمسية ويتراوح سعر الألواح بين ٢٠ -٢٠٠ دولار بحسب جودتها وحجمها ويحتاج اللوح إلى معدات أخرى مكملة لعمله وهي بطارية ومحمول (رافع جهد) وشاحن.»

ويؤكد الحلبي بأن هذه الطاقة نظيفة ومتجددة وصديقة للبيئة ولا تنفد كغيرها من الموارد ولا تحتاج إلى تأمين الوقود أو إصلاح الأعطال باستمرار، ويعبر عن ثقته من أن الاستفادة من هذه الطاقة سيتم على مستوى واسع في المستقبل القريب، أما عن آلية عملها يضيف :» تمتص الألواح الكهرضوئية الطاقة الضوئية من الشمس وتحولها إلى طاقة كهربائية، وتقوم البطاريات بتخزين الطاقة المنتجة وتحوّلها إلى كهرباء عن طريق محوّلة كهربائية تبدأ برفع توتر التيار لاستخدامه في الأعمال المنزلية.»

كما أقيم مؤخراً في إدلب عدة مشاريع لإضاءة الشوارع والمرافق العامة اعتماداً على الطاقة الشمسية من خلال مصابيح تعمل ليلاً وتشحن نهاراً.

سوريا
علمانيةٌ» زائفةٌ وخطرٌ أصوليّ

طارق عزيزة

على مدى عقودٍ من الاستبداد، كان ادّعاء «العلمانية» وما يزال أحد الأدوات الهامّة التي استخدمها النظام السوريّ واستثمر فيها لتسويق حكمه. كما سعى عبر ذلك إلى الظهور بمظهر «حامي الأقلّيات» في مواجهة التطرّف الإسلاميّ، لاسيّما في الدوائر الغربية، وإلى حدٍّ بعيدٍ في أوساط «الأقليات» في المجتمع السوريّ، ثم الترويج لخدماته في مرحلة لاحقة كشريكٍ يُعتمد على «خبراته» المتراكمة في محاربة الإرهاب، و«أنّه يعمل ضد انتشار الأصولية الإسلامية في المنطقة، مستمدّاً شرعيته جزئيّاً من الصراع ضدّ هذه القوى الراديكالية».[1]

١- كارستين ويلاند، سورية الاقتراع أم الرصاص، ترجمة د. حازم نهار. رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى أيار ٢٠١١. ص ٣٩.

واظبت آلة النظام الدعائية و«علاقاته العامة» المتينة على دعم هذا الادّعاء بشتى الوسائل، ومنها استحضار صراعه الدمويّ مع الإسلاميين، والقيام من وقتٍ لآخر باستذكار شعاراتٍ قوميةٍ بما فيها من علمنةٍ مفترضة، رفعها «حزب البعث»، الغطاء الأيديولوجيّ المزمن للنظام.

نجحت دعاية النظام إلى حدٍّ بعيدٍ كما يبدو. ذلك أنّه إلى جانب مرتزقةٍ ومأجورين كثر يقفون في صفّه، ليس من الصعب أن تجد اليوم ساسةً وكتّاباً وصحفيين غربيين وعرباً، مقتنعين فعلاً بمزاعمه العلمانية، وعلى الرغم من جرائمه المستمرّة بحقّ الشعب والحالة الكارثية التي أوصل البلاد إليها، يروّجون له ويدافعون عن بقائه استناداً إلى تلك المزاعم، بحجّة رفضهم أن يحلّ المتطرّفون محلّ «النظام العلمانيّ الوحيد في المنطقة»!

ولكن، هل هذا النظام علمانيٌّ حقّاً؟

تمهيدٌ لا بدّ منه

ليس هذا مجال الخوض النظريّ والتاريخيّ في موضوع العلمانية، فالعودة إلى المراجع فيه متاحةٌ لمن يرغب. ما يهم في سياق المقال هو التأكيد، بإيجازٍ شديد، على مسألتين جوهريتين يقود إليهما تتبّع التطوّر الدلاليّ، الاصطلاحيّ والمفهوميّ، للعلمانية، وما استقرّ عليه استخدام اللفظ ومعناه، في الفكر السياسيّ وفي التجارب العملية الأكثر نجاحاً، ومعاينة «علمانية» النظام في ضوئهما وقياسها عليهما، فإنّهما تشكّلان تكثيفاً لجوهر العلمانية، ويمكن اعتمادهما معيارين أساسيين، قياسيين، تسقط الصفة «العلمانية» عن أيّ نظام حكمٍ أو دستورٍ لا يلتزم بهما.

المسألة الأولى تكثّفها العبارة الشهيرة «فصل الدين عن الدولة»، بما تعنيه من إلغاء دور الدين في السياسة، والفصل بين المجالين الدينيّ والدنيويّ، والحدّ من تدخّل الدين في شؤون البشر وحياتهم الدنيوية. ويمكن تلخيص المسألة الثانية في مقولة «دولة المواطنة المتساوية»، بوصفها مجالاً عامّاً، ودولةً لجميع مواطناتها ومواطنيها بالتساوي ودون تمييز بينهم، بما تنطوي عليه من خصائص العمومية والحيادية، ودون مفاضلةٍ بين الأفراد والجماعات، فهي حياديّةٌ حيال انتماءات الأفراد ومعتقداتهم الدينية والدنيوية.

«علمانية» النظام الزائفة

منذ استيلائهم على السلطة «يتكئ البعثيون على العشائر والصلات الدينية لتدعيم حكمهم، لا وحدها بل بما هي ركيزة أساسية»[1]، في سلوكٍ ينافي مبادئ العلمنة، ودون مراعاةٍ للقشرة الأيديولوجية القومية التي غلّفت نظامهم العسكريّ الشموليّ، أو لـ«التقدّمية» التي نسبوها لأنفسهم. لم تدم مرحلة «ديكتاتورية الحزب» طويلاً، إذ انتهت الخلافات والتصفيات داخل النظام العسكريّ/البعثيّ الناشئ إلى «ديكتاتورية الفرد»، بسيطرة حافظ الأسد على الحكم (تشرين الثاني ١٩٧٠)، وانفراده بالسلطة على رأس الجيش والحزب والدولة، حتى وفاته (حزيران ٢٠٠٠) وتوريث الحكم لابنه بشّار.

أسّس الأسد الأب نظاماً رئاسياً يمنح «رئيس الجمهورية» صلاحياتٍ مطلقة، وفق «الدستور الدائم للجمهورية العربية السورية»، الذي نصّت مادّته الثامنة على قيادة حزب البعث للدولة والمجتمع[2]. هكذا، اختُزلت الجمهوريةُ إلى «دولة البعث»، وهو ما وصفه المفكّر جاد الكريم جباعي بـ«هدر الدولة في سورية»، الذي أدى إلى هدر المواطنة، وهدر الوطن والمواطن وهدر الإنسان، «دولة الحزب، ثم دولة طغمة فاسدة ومجردة من أي قيمة وطنية وإنسانية وأخلاقية وعارية من أي مشروعية»[3].

قياساً على معياري العلمانية السابقين، فإنّ دستور الأسد تضمّن نصوصاً تتناقض في ما بينها، وتدحض بشكلٍ قاطع مزاعم القائلين بأنّ سوريا يحكمها «نظامٌ علمانيٌّ». فالفقرة الأولى من المادّة الثالثة نصّت أنّ «دين رئيس الجمهورية الإسلام»، أي أن الانتماء إلى دينٍ محدّدٍ عاملٌ حاسمٌ في اختيار من يشغل أهمّ منصبٍ في نظام حكمٍ رئاسيّ. وتتعارض هذه الفقرة مع المادة الخامسة والعشرين، لاسيّما فقرتها الثالثة: «المواطنون متساوون أمام القانون في الحقوق والواجبات»، والفقرة الرابعة: «تكفل الدولة مبدأ تكافؤ الفرص بين المواطنين». فكيف تتساوى الحقوق والواجبات في بلدٍ لا يجيز دستوره لغير المسلم تولّي منصب الرئاسة، مع وجود مواطنين من أديانٍ مختلفة؟ إلى ذلك، أعطت

١- المصدر نفسه، ص٩٢. ومن المراجع الشهيرة حول هذا الجانب من حكم البعث كتاب «الصراع على السلطة في سوريا»، لمؤلفه نيكولاس فان دام.

٢- أُقرّ باستفتاء في ١٢ آذار ١٩٧٣، واستمر العمل به حتى شباط ٢٠١٢ وإقرار الدستور الحالي، الأقرب إلى كونه تعديلاً على الدستور السابق منه إلى أن يكون دستوراً جديداً، إذ حافظ على معظم المواد ولا سيّما تلك المتعلقة بصلاحيات الرئيس.

٣- جاد الكريم جباعي، من الرعوية إلى المواطنة. أطلس، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٤، ص ٢٥.

المادة الثالثة مكانةً تفضيليةً للدين الإسلامي بأن عدّت الفقه الإسلاميّ مصدراً رئيسياً للتشريع، في حين يفترض بالعلمانية في أبسط صورها الفصل بين شؤون الدين والدنيا.

وحصرت المادة الثامنة قيادة البلاد بحزب البعث: «حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب القائد في المجتمع والدولة ويقود جبهة وطنية تقدمية تعمل على توحيد طاقات جماهير الشعب ووضعها في خدمة أهداف الأمة العربية»، فتتناقض مع عموميّة الدولة وحياديتها وتلغيهما، بتخصيص الدولة لحزب بعينه، وجعل أيديولوجيته أيديولوجيا للدولة التي تفترض العلمانية حياديتها حيال العقائد كافة.

ما سبق لا مجال معه للحديث عن نظام علمانيٍّ مطلقاً، فلا يجوز في العلمانية اشتراطاً الانتماء إلى دينٍ ما لشغل منصبٍ عامٍّ أيّا كان، ومهما تكن «النسب المئويّة» لتوزّع مواطني الدولة على الديانات والمذاهب. إنهم مواطنون متساوون، بهذا يُعرّفون وليس بانتماءاتهم ما قبل الوطنية/المواطنية. كذلك الحال مع تمييز حزبٍ وأتباعه عن سواهم من المواطنين، أيّاً كان هذا الحزب، فهذا يناقض مبدأي المساواة بين المواطنين، وحيادية الدولة وعموميتها.[٤]

٤- ينطبق هذا الكلام على الدول الشيوعية وحكم الحزب الواحد أيضاً. وهي، بالمناسبة، لم تكن دولاً علمانية، خلافاً لما يشيعه خصوم العلمانية في تعمّدهم الخلط بين العلمانية والإلحاد. فالدول الشيوعية لم تقم بـ«فصل الدين عن الدولة»، ولم تكن دولة لجميع مواطنيها، بل على العكس من ذلك، حصرت الحكم بـ«حزب الطبقة العاملة» فألغت عمومية الدولة، وتبنّت عقيدة «إلحادية» ناصبت الأديانَ العداء ودخلت في معركة ضدها فلم تكن محايدة حيال الأديان والعقائد، وهي، بالتالي، «لم تكن دولاً علمانية حقيقية، بل متأدلجة علمانيًا، وقد حاربت الدين. الدولة العلمانية الحقيقية لا تحارب الدين، بل تتيح حرية الدين للجميع»، وفق تعبير الراحل جورج طرابيشي.

أما «الدستور الجديد»، الذي جاء ضمن «الإصلاحات السياسية» الشكلية، كإحدى محاولات النظام لاحتواء الثورة، فرغم خلوّه من «المادة الثامنة» السابقة وإلغاء «الحقّ الحصريّ» لحزب البعث في قيادة الدولة، غير أن التمييز بين المواطنين استمرّ على أساسٍ دينيّ، وأيضاً إعطاء دورٍ تشريعيٍّ للدين. تنصّ المادة الثالثة من الدستور الحالي: «دين رئيس الجمهورية الإسلام. الفقه الإسلاميّ مصدرٌ رئيسيٌّ للتشريع». وزاد في الطنبور نغماً إضافة فقرة خلا منها الدستور السابق، تنصّ أنّ «الأحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونةٌ ومرعية»، علماً أنّ قوانين «الأحوال الشخصية» في سوريا تقوم بالكامل على المرجعيات الدينية للطوائف حتى قبل هذه الدستور، وهو مما يطعن أيضاً في علمانية النظام المزعومة، غير أنّ إدراج ذلك في الدستور يعني تأكيداً دستورياً على الهويات ما قبل الوطنية/ المواطنية للأفراد، والنظر إليهم لا كمواطنين مستقلين وإنما كأعضاء في طوائف دينيةٍ مختلفة، والإقرار بسلطةٍ دينيةٍ تدير أحوالهم الشخصيّة، في تناقضٍ مع المواطنة المتساوية وسيادة القانون الوضعيّ، بما هما خاصّيتان أساسيّتان للعلمانية.

مقاولةٌ دينيةٌ/ سياسية

لا تقتصر المطاعن في علمانية النظام المزعومة على الشق الدستوريّ والقانونيّ وإنما يتكشّف زيفها أكثر فأكثر في الممارسة العملية. ففي الوقت الذي واجه المعارضة الإسلامية بالحديد والنار وألقى بمعارضيه من الأحزاب اليسارية في المعتقلات، أبدى الأسد تساهلاً ومراعاةً كبيرين لمظاهر الأسلمة في المجتمع، وإنّ العدد الهائل من المساجد التي بنيت بأموال الحكومة في عهد الأسدين، ومواظبتهما على الصلاة في المسجد بمواكبةٍ إعلاميةٍ في المناسبات الدينية، و«معاهد الأسد لتحفيظ القرآن» هي جزءٌ من ذلك. بل إنّ الأسد الأب نجح في ثني السعودية عن دعم الإخوان المسلمين خلال مواجهات الثمانينات، وسمح لها بالمقابل بتأسيس مدارس للقرآن، ومنظماتٍ خيرية، ومساجد في سورية[٥].

وتكمن المفارقة في أنّ معارضي النظام الإسلاميين قد عارضوا في البداية علمانيته المزعومة لا استبداده. وخاض الإخوان المسلمون مواجهتهم المسلّحة الأولى ضدّ نظام البعث لهذا السبب، حين شهدت سوريا في ربيع عام ١٩٦٤ موجة اضطرابات وقع أعنفها في مدينة حماة، تحوّلت إلى جهادٍ دينيٍّ مسلّح، وأعلن الإخوان أنّ حكم «البعث الكافر» إهانةٌ للذات الإلهية، وأن القضاء عليه هو تكليفٌ شرعيٌّ للمسلمين[٦]. كل ذلك قبل أن تبلغ ألاعيب النظام على الوتر الطائفيّ شأواً فجّر التناقض الطائفيّ، ليغدو المحرّك الأساسيّ لصراع الإسلاميين ضدّ الأسد والنظام «النصيري»، كما دأبت أدبياتهم على وصفه خلال مواجهات الثمانينات[٧] ، وكذلك على نحو ما هو رائجٌ لدى جهاديي هذه الأيام.

ولا يقلّ أسلمةً وتطييفاً للمجتمع أنّ تحالف الأسد مع إيران الإسلامية أتاح لنظام «الولي الفقيه» إرسال بعثاته التبشيرية وتمويل حملات التشيّع في سوريا، وصولاً إلى ما يجري اليوم من تقاطر الميليشيات الشيعية من أجل «الجهاد» في سوريا ضد «المجاهدين» السنة!

خاتمة

إن الملامح العلمانية في سوريا لها تاريخها، ثقافياً واجتماعياً، ولم تكن يوماً «إنجازاً» للنظام بل على العكس تراجعت بشكلٍ ملحوظ بفعله، وقدّم ادعاؤه العلمانية نموذجاً سيئاً يستخدمه خصوم العلمانية دوماً لمحاربتها.

لقد كانت مظاهر العلمنة في المجتمع والابتعاد عن التشدد (في المأكل والمشرب والملبس والزيجات المختلطة..) سمةً رافقت التسامح الدينيّ والاجتماعيّ النسبيّ في سوريا مقارنةً مع دول الجوار، وهي اليوم مهدّدةٌ بشكلٍ كبيرٍ نتيجة ازدهار مشاريع الجهاديين والتكفيريين، سنّةً وشيعة، على «أرض الشام».

سيكمل هؤلاء المجانين ما بدأه النظام في القضاء على ما تبقّى من إمكانيات التسامح والعيش المشترك، ومن حلم شبّان الثورة الأوائل بتأسيس دولة مواطنةٍ حديثةٍ لجميع مواطناتها ومواطنيها.

٥- سورية الاقتراع أم الرصاص، ص ١٧٦. في المصدر نفسه يذكر الكاتب «وفقاً لتقديرات إسلامية» أن السعودية ضخت ١,٥ مليار دولار لنشر الوهابية في سوريا والأردن ولبنان. ومعلومٌ أن شيئاً كهذا لن يمرّ في بلدٍ محكوم بقبضةٍ أمنيةٍ فولاذيةٍ كسوريا من دون علم النظام وموافقته.

٦- كمال ديب، تاريخ سورية المعاصر، دار النهار، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١١، ص ٥٤٢.

٧- كثيراً ما استعملوا هذا الوصف في نشرتهم «النذير».

من التفاوض إلى الحوار

جاد الكريم الجباعي

لا يكون عنفٌ إلا حينما تنعدم إمكانية الحوار وعلينا أن نختار: إما إقامة المتاريس وإما بناء الجسور

أشرنا في مقاربة سابقة إلى أن ما يوجب الحوار اجتماعياً وإنسانياً ووطنياً تعدّد الحقيقة في ذاتها، وتعدّدها في أحكام الناس فيها، على اعتبار الحقيقة هي الظاهرة المُدرَكة والحادثة المعيَّنة في الواقع المعيش، لذلك تجدنا إزاء جملة من الحقائق أو جملة من أشكال الحقيقة الواقعية، وجملة من تأويلاتها وأحكام الناس فيها. وليس بوسع الفرد وحده، مهما أوتي من قدرة عقلية وعملية، أن يحيط بجميع وجوه الواقعة، ويدرك جميع أبعادها، ويقف على جميع أسبابها، ويتبين جميع علاقاتها بغيرها، ويقدِّر جميع آثارها، بحكم ديناميتها الذاتية وتعارضاتها الملازمة وتغيرها المستمر.. ولنا في تعدد الوقائع (الحقائق) السورية واختلاف أحكام السوريات والسوريين فيها دليلٌ يصعب دحضه. ومن ثم، فإن إحدى غايات الحوار هي التوصل إلى «حقيقة تواصلية» وإدراك نسبيتها وشروط انبثاقها وتشكلها وعوامل تغيّرها، وما تنطوي عليه من ممكنات، تتأسّس عليها البدائل الممكنة والمرغوب فيها.

فلا يكون حوارٌ إلا حيثما وحينما وبقدر ما يكون اختلاف، لا في الآراء والأحكام والمواقف فقط، بل في طرائق التفكير وكيفيات الإدراك والتمثل والتقدير، أي في ما يؤسّس الآراء والأحكام والمواقف ويعيِّن أنماط السلوك، بدلالة المصالح المختلفة. «**ليس هنالك طريقٌ ملكيةٌ إلى الحقيقة**»، بل ثمة طرقٌ مختلفةٌ اختلافَ الأفراد واختلاف شروط حياتهم، إذ لا ينفصل التفكير عن مبادئه المعرفية (الإبستمية) وشروطه النفسية والاجتماعية والإنسانية. وما دامت هذه الطرائق والكيفيات مجذَّرةً في الأفراد الأصحاء جميعاً،

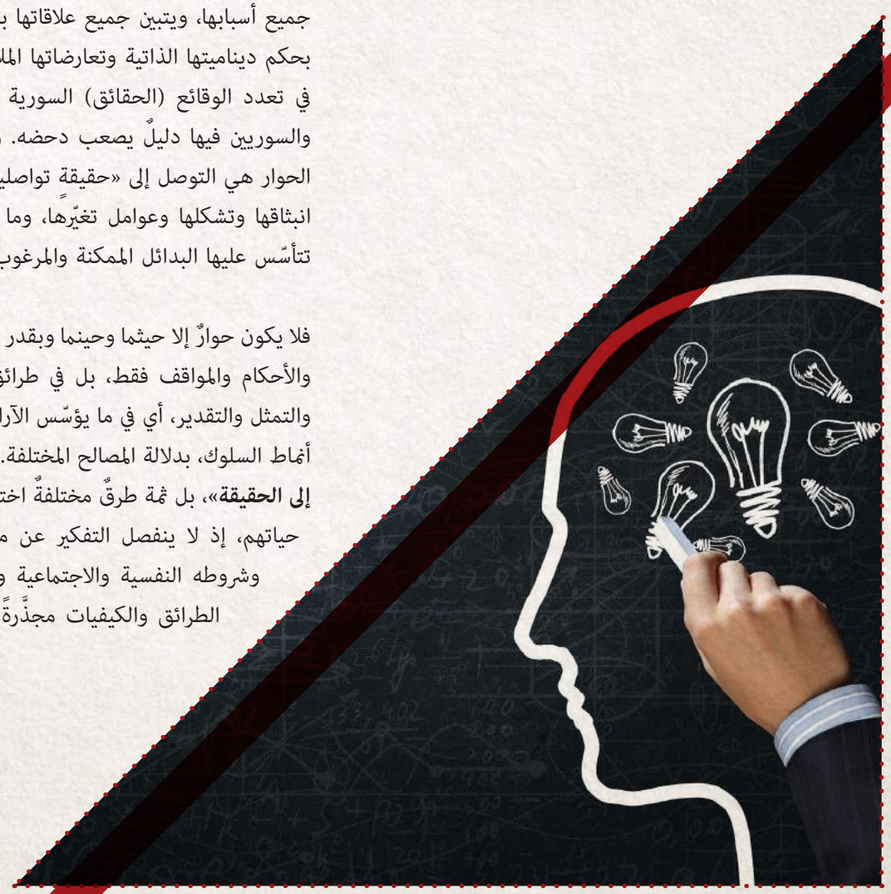

إناثاً وذكـوراً، فالحوار ماثلٌ فيها بالقوة، ويمكن أن يتح قق بالفعل. «للحقيقة مدخلٌ مزدوج: يتصل بالمعطيات الواقعية، أي غير الوهمية وغير المدركة إدراكاً سيئاً، أو غير المتلقاة بصورة مغلوطة، ويتصل الثاني بالنظرية، أو المعتقد، بصفتها أو صفته بناء ذهنياً، لا انعكاساً للأشياء[1].

ولا تتحقق الغاية من الحوار والمناقشة العمومية إلا بإدراك المنخرطات والمنخرطين فيهما بسموّ الرابطة الاجتماعية، وسموّ الرابطة الإنسانية، وسموّ القانون. في هذه الحال فقط، تمارس الرابطة الاجتماعية – الإنسانية تأثيرها في المتحاورين الذين يحوز كلٌّ منهم سلطةً معرفيةً (إبستمية)، بصيغة المتكلم، أو «حرية تواصلية»[2] يمكن أن تتجه نحو البحث عن توافقٍ عقلانيٍّ يترجَم إلى اتفاق.

يذهب فتحي المسكيني إلى أن «**الحوار بين الهويات غير ممكن**»، لأن الأفق الوحيد للحوار هو الحوار بين ذواتٍ حرة. ويرى أن الفرق بين حوار الهويات وحوار الذوات لا يتضح إلا بقدر ما يتضح الفاصل بين الهويات والذوات، وفي ما يخصّنا: «بين تدبيرنا المحموم لهموم الهوية وبين عجزنا حتى الآن عن تطوير تجربةٍ ذاتيةٍ ومدنيةٍ خاصة بأفقنا الروحيّ». ويضيف: «نحن نعاني من فائض هويةٍ لم يجدّ بعد الأفق الملائم لتجربة الذات التي تؤسّسه. ويبدو أن **العائق الأكبر أمام التحول من نموذج الهوية إلى نموذج الذات هو غياب الإمكانية الجذرية للحوار**»[3].

فلما كان مفهوم الهوية إشكالياً وملتبساً، ولكن يصعب الاستغناء عنه، نذهب إلى أن **الحوار بين الهويات ممكن، ولكنه قد لا يكون مجدياً حين يكون بين هوياتٍ كلٌّ منها مغلقةٌ على ثوابتها ويقينياتها ومطلقاتها،** أي أن الحوار بين متعصّبين ومتطرّفين قد يكون صعباً، ولا يفضي إلى أيّ نتيجة، غير تلك التي تقررها نسبة القوى، في عملية التفاوض، وهذا الأخير غير الحوار.

التفاوض هو إعادة إنتاج مبدأ الغلبة والمغلوبية، وعدم الاعتراف بجدارة الآخر المختلف واستحقاقه حرياتٍ وحقوقاً مساويةً لحريات المتكلم وحقوقه، إلا بقدر ما يحوز من القوة المادية أو المعنوية.

كما أن **الفرق بين الهوية والـذات ليس حدياً**، كما يتصوره المسكيني، وفي ذهنه صورةٌ نمطيةٌ عن الهوية، أو عما سمّاه أمين معلوف الهويات القاتلة. ولا نحبذ قوله: «إن حوار الهويات غير ممكن»، لما فيه من إطلاقٍ ونفيٍ للممكن. لذلك نقترح صيغةً

١- إدغار موران، مقدمات للخروج من القرن العشرين، ترجمة أنطون حمصي، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٢، ص ١٨٣، بتصرف.

٢- راجع/ي، يورغن هابرماس، إيتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، ترجمة عمر مهيبل، الجزائر العاصمة، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ٢٠١٠، ص ٢٦ وما بعدها.

٣- فتحي المسكيني، الهوية والحرية، نحو أنوار جديدة، بيروت، جداول للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص ١٥.

مختلفةً وفرضيةً مختلفةً قوامها: **إن الحوار بين محمولات بلا ذوات غير مجدٍ. المجدي هو الحوار بين ذوات حرة ومستقلة، تعي نسبية محمولاتها وتاريخيتها وقابليتها للنقد والدحض أيضاً.** تتسق فرضيتنا مع قسمة العلاقات الاجتماعية قسمين؛ علاقات شاقولية بين محمولاتٍ بلا ذوات، أو هوياتٍ بلا ذوات، هي عصبياتٌ مغلقةٌ ومتطرفة، لا تستمر إلا بقدر ما تلغي شخصيات أفرادها وتصادر حرياتهم، وتهدر إنساينتهم، حسب مصطفى حجازي. وعلاقاتٌ أفقيةٌ ونديةٌ بين ذواتٍ حرةٍ ومستقلة، وهذه ليست ممكنةً فحسب، بل قائمة، هنا والآن، وإن تكن لا تزال جنينية وهامشية. ولا نميل إلى افتراض أيّ نموذج نقيٍّ كلياً، سواء للعلاقات الشاقولية أم للعلاقات الأفقية والشبكية، لأن الواقع المعيش يعرض لنا صوراً متداخلةً ومعقدةً بين هذه وتلك.

وإلى ذلك، نتفق مع قول المسكيني: «ليس الحوار فسحة أخلاقية معطاة، بل معركة روحية ووجودية ومدنية، (غير مضمونة النتائج). لأن الإنسان لا يمكن أن يتحرر على مستوى مدني من دون أن يتحرر على مستوى وجودي»، مع تحفظنا على صيغة «لا يمكن». لأننا نذهب في هذه المسألة مذهب كارل ماركس، في اعتبار «الانعتاق السياسيّ» أي التحرّر المدنيّ، مقدمةً لازمةً لـ«الانعتاق الإنسانيّ»، أي للتحرر الوجوديّ. وأضفنا عبارة «غير مضمونة النتائج»، لأن سيرورة التحرر المدنيّ قابلةٌ للانعكاس، كما تبيّن التجربة السورية وتجارب أخرى كثيرة.

«**الحوار مجال لممارسة القوة الاستدلالية للإنسان،** فعن طريقه تستطيع أن تظهر قوتك العقلية وقدرتك الاستدلالية»[٤]. ولما كان الفرد الإنسانيّ أنا وآخر في الوقت نفسه، ولا قوام لفرديته خارج نطاق الجماعة والمجتمع، فإن الحوار الذي يدخل فيه مع الآخرين، والذي يعطيه فرصةً لتقوية القدرة على الاستدلال، هو في جوهره ممارسةٌ لمعرفة الذات نفسها؛ «فحواري مع الآخرين هو حوارٌ لمعرفة الذات». ولا تكون معرفة الذات ممكنةً إلا بمعرفة الآخر المختلف الذي يؤسّسها، والأخرى المختلفة التي تؤسّسها، بصفته وصفتها تجلي ماهيتها الإنسانية.

«الحوار واجب إنساني، ينبغي أن يعم جميع الفئات، أيا كانت، وجميع الموضوعات، كيفما كانت، على شرط التزام قواعده وأخلاقياته. لأن في تحقيق الحوار وتوسيعه مع جميع الأطراف وفي جميع المجالات زيادة في معرفة الذات، فضلاً عن معرفة الآخـر، وزيـادة في تحقيق إنسانية الإنسان».

٤- طه عبد الرحمن، الحوار أفقاً للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٣، ص ٢٨.

هنا، تغدو المسألة مسألة شروط إمكان الحوار، لا مجرد إمكانه. الحوار ممكن دوماً، بحكم الطبيعة التواصلية والتبادلية للكائن الإنساني، ولكن شروط تحققه لا تكون متاحة دوماً، ولا سيما في أوقات النزاعات والحروب، مع أن الحاجة إلى الحوار تصبح أشد وأكثر راهنية. لكن **الميل الطبيعي إلى التغلُّب يكفُّ الحاجة إلى الحوار أو يعلّقها.** ولا يمكن استبعاد هذا الميل من الحوار ذاته، فما أكثر ما يتحول الحوار إلى مساجلة ومبارزة كلامية وجدال عقيم، خاصة حينما تتماهى الذات ومحمولاتها، فيغدو الدفاع عن الرأي أو العقيدة دفاعاً وهمياً عن الذات، لأن الذات نفسها تكون أسيرة أوهامها عن نفسها وعن العالم. لذلك يعد «انقطاع التنافس بين الأفكار كارثة عقلية، وحذف التنافس بين الأفكار جريمة سياسية»[٥]. فنحن في حاجة إلى آراء من نختلف معهم كلياً، من الهامشيين والمستبعدين، أكثر مما نحن في حاجة إلى أفكار من نتفق معهم أو نختلف معهم إلى هذا الحد أو ذاك.

إن ما هو أساسي في نموذج التفاهم هو الاتجاه الأدائي، الذي يتبناه هؤلاء الذين يشتركون في تعامل، الذين ينسقون مشاريعهم بالاتفاق فيما بينهم على أمر ما موجود في العالم. الأنا (المتكلم) والآخر الذي يتخذ موقفاً إزاء هذا العمل الكلامي (المخاطَب)، يعقدان الواحد مع الآخر علاقة بين شخصين تستجيب هذه العلاقة لبنية تتعرف من خلال النظام الذي تشكله، في تلاقيهما المتبادل منطورات المتحدثين والمستمعين والأشخاص الحاضرين الذين لم يشتركوا بعد في عملية التبادل: يقابل هذا النظام النظام القائم على قواعد ضمير الفاعل. إن أي شخص يستعمل هذا النظام يعرف كيف يتبنى منظورات ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب وكيف يحول الواحد منها إلى الأخر في اتجاه أدائي[٦].

استعمال الضمائر (المنفصلة والمتصلة) في حالاتها الوجودية الثلاث (المتكلم/ـة والمخاطب/ـة والغائب/ـة) وحالاتها الإعرابية الثلاث (الرفع والنصب والجر) وإحالاتها العددية الثلاث (المفرد والمثنى والجمع) ودلالاتها الجنسية (التذكير والتأنيث) هي التي تقود المناقشة والحوار، ولعبة الحضور والغياب والصواب والخطأ والتذكر والنسيان والتوق والحنين والحقيقة والوهم.. وتعيِّن الحدود بين الذوات ومحمولاتها، بتعاشقها مع الأفعال ومفعولاتها، ف

يغدو الكلام فعلاً تواصليا أو تفاصلياً.

وللحديث صلة..

٥- موران، ص ١٩٠.

٦- يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة فاطنة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥، ص ٤٥٥.

ما هو ضجيج الجبل؟

نارت عبد الكريم

يحقّ للشعراء ما لا يحقّ لسواهم، لكن ذلك لا يعني بالضرورة أنْ يؤخذ قولهم على محمل الجد. فالموت لم تهزمه الفنون، وليس بمقدورها، من حيث المبدأ، هزيمته أبداً. وكل ما فعلته وتفعله الفنون قاطبةً هو إضافة مساحيق التجميل على وجه الموت الحاضر في كلّ لحظة.

فما الذي ينشده الفنانون، على اختلاف مشاربهم، من وراء أعمالهم، سوى المجد والشهرة وتخليد أسمائهم؟ ولولا ذاك الهدف هل كنَّا سمعنا بهم أصلاً؟

إنَّ حضور «الأنا» وتخليدها هو غاية الفنان من وراء عمله، وليس هزيمة الموت. وهو بذلك لا يعزّز حضوره فقط، أي الموت، بل يضفي عليه جمالاً مزيفاً. لكنَّ غيابها غيابه، وفي تلك اللحظة التي تغيب فيها «الأنا» تبدأ الحياة وينهزم الموت وليس العكس. يطلق اليابانيون على هذه اللحظة اسم «الساتوري»، أي اليقظة، وإيصال المشاهد إليها هي غاية الفنان الذي يعمل في مسرح «النو» أو «البونراكو» وليس إضحاكه أو نيل إعجابه.

«المجتمع المدنيّ السوريّ» في الموسم الدراميّ للعام ٢٠١٦

بسام سفر

تقـدّم الدرامـا السـورية صـورةً قريبةً مـن الواقع الذي يعيشـه الإنسـان السـوريّ داخل البـلاد أو خارجهـا، في مناطق سـيطرة النظـام أو خارجهـا. وتنطلق من رؤيـةٍ حقيقيةٍ للواقع السـوريّ لتقديـم الصورة المجملة فنيـاً بحيث تكون الأقـرب إلى الواقع. ومن ضمن ما يقدّم في هذه الدراما صورةً عن المجتمع المدنيّ السـوريّ (إن بقي منه شـيءٌ لم تسـتطع الحرب الدائـرة تدميره كامـلاً وجعله خارج الفعل الإنسـانيّ). وبالأسـاس هناك صعوبةٌ بالغةٌ في افتـراض أن الهيئات البديلة في المجتمع المدنيّ، التي تنمـو وتتطور تحت سـيطرة الدكتاتورية العسـكرية، سـتتمكن من دمج هـذا المجتمع المدنيّ الموازي مع بقايـا الدولة وآليتها العسـكرية والبيروقراطيـة، بل على العكس، سـيكون المجتمع المدنيّ الموازي ظاهرةً أقلويةً على الدوام. وفي سـياق العملية الانتقاليـة الثورية سـيتمّ اسـتيعاب المجتمع الذي من شـأنه أن يولـد على جزر الروابط والنشـاطات البديلـة، مجتمعاً مدنياً ليس موازيـاً مـن الآن فصاعداً، بـل مجتمعـاً مدنياً أصيلاً مشـكلاً من أناسٍ أحرار، وهذا ما يفسح المجال لنوعية الروابط الحالية البديلة (ببنيتها الداخلية الديمقراطية والمعادية للسلطوية)، وتوجهها نحو العمل وعلاقاته الخلاقة.

فالروح النقدية التي تؤمّنها الجماعات البديلة تؤثر على المجتمع برمتـه، وتحمـل في داخلهـا قوةً كافيـةً قد تفعـل فعلها في مناهضة البيروقراطية السـلطوية العسـكرية التي لا تسـتطيع أن تتعايـش مع النقد، فالقدرة على الانفتاح والممارسـة النقدية والديمقراطيـة فـي الوعـي الاجتماعـيّ تشـجع النـاس علـى المشاركة المباشرة في آليات العمل.

مظاهر المجتمع المدنيّ في الدراما:

يصعب إحصاء المشاهد الدرامية التي تتناول مظاهر المجتمع المدنيّ السوريّ في أعـمال موسم عام ٢٠١٦، لذلك سأعرض لمجموعةٍ من هذه المشاهد واللقطات التي تؤكد على حضور المجتمع المدنيّ السوريّ رغم عدم تركيز الموضوعات عليه في زاوية الإبراز والظهور والحضور، لكنه يأتي في سياق الإعمال الدرامية، وما أقوم من تظهيرٍ يأتي في سياق العرض والنقد البحثيّ المستند إلى رؤية دراميةٍ للواقع السوريّ.

يعدّ العملُ الدراميّ «زوال»، الذي كتبه يحيى بيازي وزكي ماردیني وأخرجه أحمد إبراهيم أحمد، من الأعـمال المهمة التي تُظهر مشاهد من المجتمع المدنيّ السوريّ. وأوّل هذه المشاهد هو المقبرة وقضية دفن الموتى، إذ نشاهد المقبرة بعد دفن الفتاة التي أحرقت نفسها لعدم قدرتها على فرض زواجها من الشاب الذي تحبه. وهنا نرى الفنان «سلوم حداد، عنز» ينام إلى جانب قبرها، ويحدث الشاب الذي ماتت من أجله قائلاً له: «ابكِ على حبٍّ لن تجده». ويصف علاقته بالحبِ والحياة وهو في المقبرة كجزءٍ من تأثيرات الحالة الدرامية، واستحضار الحبّ بين شابٍّ وفتاةٍ ينتميان إلى طائفتين مختلفتين في المجتمعٍ السوريّ الموجود في جبل الأكراد «ركن الدين». ويظهر الموت

كمرافقٍ لقضايا الخطف والزواج بين إثنيات الحالة السورية.

كما تظهر أكثر من مؤسّسة شبه مدنية، هي مؤسّسة رعاية جانبٍ من الدعم لإيصال السلاح إلى فلسطين وتطوّع الناس. ويبدو الجانب التضامنيّ الاجتماعيّ في إظهار صورة الشركس في رقصة خاصة بهم أثناء أحد الأعراس، على الرغم من اعتراض الجمعية الشركسيةٍ على هذا الظهور. وتتدخل الشخصيات الاجتماعية الرئيسية في العمل؛ «أبو حوا، فادي صبح» و«أبـو ديـاب، يوسف مقبل»، في زواج الخطيفة للشابين «حسين، وسها»، بمباركة أهل الجبل. ويُظهر هذا انزياحاً في الفعل الدراميّ بين بداية العمل، وقتل الفتاة نفسها من أجل المحبوب غير المرغوب فيه من قبل الأهل، إلى فعلٍ اجتماعيٍّ يساعد على التعايش والاندماج في الحيّ لمصلحة المؤسّسة الأهلية المجتمعية في جبل الأكراد.

> "الـروح النقديـة التـي تؤمّنهـا الجماعـات البديلـة تؤثـر علـى المجتمـع برمتـه، وتحمـل فـي داخلهـا قـوةً كافيـةً قـد تفعل فعلها في مناهضة البيروقراطية السلطوية العسكرية"

وهكذا يصبح الفعل المدنيّ الاجتماعيّ الإنسانيّ أساسياً في استمرارية الحيّ، وعدم حدوث فعل القتل والانتحار، لكي يتمكن عاشق الحيّ من الاستمرار في فعل الحب عبر المؤسّسة الاجتماعية الأهلية حتى لو كان الزواج عن طريق الخطيفة.

ويقدّم العمل الدراميّ «نبتدي منين الحكاية»، من تأليف فـادي قوشجي وإخـراج سيف الدين سبيعي، في سياق سرد حكاية الحبّ، عمل «بشير، غسان مسعود» كمذيعٍ ومقدّم برنامج حواريةٍ في التلفزيون، وتعدّ هذه الحالة جزءاً من الحالة المدنية الموجودة في المجتمع السوريّ. بالإضافة إلى محل بيع الهدايا والأنتيكا الذي تملكه «ليال، سلافة معمار»، وتعمل فيه، لتقديم صورةٍ عن حالةٍ من حالات المرأة في المجتمع السوريّ الحضاريّ، بغضّ النظر عن كيفية تسويق هذه الحالة في هذا العمل الدراميّ.

أما «مذنبون أبرياء»، من تأليف عبد المجيد سليمان الغفري وحوار باسل خليل وإخراج أحمد سويداني، فيقدّم عيادةً نفسيةً تعمل فيها الطبيبة «جيني إسبر»، اختصاصها معالجة مدمني الحشيش والكوكايين، والأدوية المهدئة ومنها «الكابتيكون، السيروكسات، الـترامـادول.. إلـخ» التي يستخدمها المدمنون وتفعل فعلها في إخراجهم من حالتهم الاكتئابية بشكلٍ مؤقت.

وهذه العيادة الطبية النفسية جزءٌ من الحالة المجتمعية المدنية السورية الإنسانية التي تشرف على خلاص المدمن بشكلٍ منظّمٍ وتدرّجيٍّ عبر تخفيض وتخفيف الجرعات الدوائية حتى يتخلص المريض من تعاطي المخدرات والأدوية العلاجية. ويُظهر العمل تعاون الدكتورة مع الشرطة والأمن كجزءٍ من حالة إيقاف تسرّب المخدرات والأدوية والحشيش إلى البلد، بإغواء الشباب بالتعاطي للتخلص الآنيّ من الواقع المرير الذي يعيشه.

وفي «بلا غمد»، من تأليف عثمان حجي ومؤيد النابلسي عن فكرة بشار بشير وإخراج فهد ميري، تظهر الكنيسة

كجزءٍ من الحالة الحضارية الإنسانية السورية، وفيها قداسٌ على روح المجند «سامر». ويُظهر هذا المشهدُ التنوعَ الدينيَّ في المجتمع السوريّ. كما يلفت النظر الحوار الذي جرى بين سكارليت خطيبة سامر وبين ضابط الجيش، عن وصول البلد إلى الحالة التي وصلت إليها.

في حين يُظهر العمل الدراميّ «أيام لا تنسى»، من تأليف فايزة علي وإخراج أيمن زيدان، شركةً تقودها وتعمل فيها زوجة «وائل رمضان» في العمل «سوزان نجم الدين» وابنتها، كجزءٍ من الحالة التجارية السورية الفاسدة، إذ تعملان على إنجاز الكثير من الصفقات الغذائية على حساب الغلاء في الأسـواق المحلية نتيجة الحصار المفروض على الحالة السورية في مناطق سيطرة النظام. والتعامل وفق منطق الفرصة في ارتفاع أسعار المواد وانهيار الليرة أمام الدولار، واستغلال وضعية الجمود التي ضربت الثورة السورية، وتحولها إلى حربٍ وأزمةٍ مستدامة. ويُظهر العمل الشركة كجزءٍ من تجار الأزمة الذين يعملون على تكديس الأموال على حساب الشعب الذي يعاني من ويلات الحرب واستغلال التجار والصراع مع القوى الإسلامية الأصولية ذات التوجه الجهاديّ. ويسلط الضوء على دور الابنة الشابة في إتمام الكثير من الصفقات التي تعبث بالمواد الغذائية الأساسية في السوق.

كما يُظهر العمل الدراميّ «دومينو»، من تأليف غسان عقلة وفادي سليم وإخراجه، شركة رجل الأعمال الفاسد «نوح، بسام كوسا» ودورها في أعمالٍ تجاريةٍ مشبوهة. وما يلفت الانتباه هنا ليس الشركة، وإنما مقرّ الصحيفة والمجلة كمؤسّساتٍ مدنيةٍ اجتماعيةٍ سورية، وتعيين صحافيةٍ رئيسة تحرير مجلة، ونشرها تحقيقاً موثقاً يتناول الفساد في الشركة.

ويعمل نوح وابنه على شرائها من خلال تعيينها كرئيسة تحرير، لكن الطابع المهنيّ لدى هذه الشخصية يتغلب على الفساد وعلى الـشراء. وتوضح هذه الحالة -كمقرٍّ وكإنسانة- مدى عمق الحالة الصحافية السورية وتاريخيتها في الحياة السياسية والمهنية والاجتماعية، ما يؤكد على عمق المؤسّسات الصحفية السورية تاريخياً بعيداً عن الحال القائم في سوريا الآن.

أما في العمل الدراميّ «الندم»، من تأليف حسن سامي اليوسف وإخراج الليث حجو، فتظهر إحدى شركات الإنتاج الدراميّ التلفزيونيّ السوريّ، ومحاولات الكاتب والروائيّ «عروة، محمود نصر» تسويق عمله الدراميّ الأول، وتوقيع العقد، وتقاضي ثمن العمل على دفعات، وعند تسليم الحلقات الأخيرة يستكمل المبلغ كله، ومحاولات

صاحب الشركة توقيع عقد احتكارٍ للكاتب، وارتياد الكاتب عدداً من المقاهي والمطاعم. كما يرتبط العمل الدراميّ بالشركة الرئيسية التي يقودها «عبدو، باسم ياخور»، ويتحول الجانب السياسيّ في الشخصية إلى خطٍّ قمعيٍّ رغم وجوده في مجلس الشعب.

وفي الكوميديا نجد جزءاً من الحالة المجتمعية المدنية في لوحات «بقعة ضوء» التي أخرجها سيف الشيخ نجيب، وخصوصاً في لوحة «تريفاز»، إذ نشاهد لجنة فحصٍ في المؤسّسة العامة للكهرباء في دمشق والمنطقة الجنوبية تكشفُ على ساعة كهرباءٍ داخل محل، من باب التمسك الشكلانيّ بالقانون المعمول به في المؤسّسة، ويطلب صاحب المحل «أيمن رضا» تحويل الساعة من عدادٍ منزليٍّ إلى عدادٍ تجاريّ. وهنا لجنة كشف مؤسّسة الكهرباء جزءٌ من حالة المجتمع المدنيّ السوريّ.

واللوحة الثانية التي نودّ الإشارة إليها من «بقعة ضوء» هي لوحة «الساعة الثامنة»، عندما تُواعد «أمل عرفة»، زوجة الموظف المتوفى، مـدراءَه جميعاً في بيتها موعداً غرامياً، وتحبسهم كلهم في غرفةٍ صغيرةٍ وتجبرهم على توقيع أوراقٍ المعاملة للحصول على الراتب التقاعديّ لزوجها. وفي هذه

> يصبـح الفعل المدنـيّ الاجتماعيّ الإنسـانيّ أساسـياً في اسـتمرارية الحـيّ، وعدم حدوث فعـل القتل والانتحار، لكي يتمكن عاشق الحيّ من الاسـتمرار في فعل الحب عبر المؤسّسة الاجتماعية الأهلية

اللوحة تظهر الحالة المدنية السورية في انتقالها من مديرٍ إلى مدير، وكشف جوانب الفساد الإداريّ الموجود في المؤسّسات الحكومية والمحسوبيات فيها، والتركيز هنا على استغلال جانب الإيحاء الجنسيّ الفاضح.

وتتمثل إحدى مظاهر الحالة المدنية السورية في دراما البيئة الشامية في «مجلس الأعضوات» في الحارة، وهو شكلٌ من أشكال العمل المدنيّ البيئيّ المؤطّر في زمانٍ ومكانٍ محدّدين، إذ يعُدّ هذا المجلس ذاته المسؤول عن كلّ ما يجري في الحارة. فتأمين حياة العائلات وأبناء الحارة جزءٌ من عمله، ومتابعة قضايا الجرائم والاقتتال بين أبناء الحارة والحارات الأخرى يقع حلّها عليه، وكذلك المساعدة في تزويج أبناء الحارة من الشباب الذين لا يستطيع أهلهم تزويجهم.

ويظهر في العمل الدراميّ «باب الحارة»، من تأليف سليمان عبد العزيز وإخراج ناجي طعمة وإشراف بسام الملا، في الحلقة (٢٣)، قول إحدى الشخصيات إن هناك ٥٠ عضوةً في جمعيةٍ نسائيةٍ سوريةٍ في زمن المستعمر الفرنسيّ في ثلاثينيات القرن الفائت. وكذلك نرى النشاط النسائيّ في الجمعية من خلال أول مشاركةٍ للفتيات في العمل التطوعيّ الذي يخدم قضايا النساء في مجتمع الحارة الشامية متمثلةً في «حارة الضبع».

المجتمع البديل-المدنيّ درامياً:

إن الاستعراض البانورامي للعديد من المحطات المدنية في سياق موسم ٢٠١٦ يظهر إشاراتٍ واضحةً تحتاج إلى دراسةٍ أوسع من أجل قراءة مدى العمق المدنيّ السوريّ في دراما هذا الموسم. ويحتاج هذا إلى ورشاتٍ دراميةٍ-مدنيةٍ تعقد لبحث كيفية نقل جزءٍ من

الواقع المدنيّ الحديث بعد ٢٠١١ إلى سياق الفعل الدراميّ السوريّ برغبة أو عدم رغبة المنتجين، لأنه لا يمكن حذف مجلس أعضوات الحارة من دراما البيئة الشامية، ولا يمكن إلغاء وجود الشركات التجارية أو المقارّ الصحافية والإذاعية والتلفزيونية في سياق العمل الدراميّ الاجتماعيّ، وكذلك الكنيسة والجامع والمشفى والعيادة النفسية والجامعة.

لكن الأهم من الاستعراض المكانيّ هو النقاشات الحقيقية التي تظهر في سياقات الفعل الدراميّ للوصول إلى نتائج في قضايا مدنيةٍ محدّدة. فالمجتمع المدنيّ البديل في الحياة قادرٌ على تجسيد الحقيقية ونقلها بأشكالٍ مختلفة، لكن المجتمع المدنيّ السوريّ في سياقات الدراما هل هو قادرٌ على نقل الحقيقة كما هي، بدون فعلٍ تجميليٍّ «مكياجيٍّ» للواقع السوريّ؟! وما هو مقدار الفائدة التي يستطيع الفعل المكياجيّ إظهارها في عمق الواقع المدنيّ الاجتماعيّ السوريّ؟!

> ويُظهر العمل الشـركة كجزءٍ من تجـار الأزمـة الذيـن يعملـون على تكديـس الأمـوال علـى حسـاب الشـعب الـذي يعانـي مـن ويلات الحرب

حتى الموسم الدراميّ الحاليّ لا توجد أيّ إمكانيةٍ للقول إن المجتمع المدنيّ للواقع الحياتيّ اليوميّ بدأ يشكل مجتمعاً موازياً بما هو قائم.

أما من زاويـة الحوارات الدائرة في الحياة السياسية والمـدنيـة الـسـوريـة وهـل هي متجسدةٌ في الدراما فيمكن التأكيد هنا على أن نسبة ٥٠٪ مما هو قائمٌ في الواقع موجودٌ في الدراما السورية، أما الباقي فيحتاج إلى متابعةٍ ومعرفةٍ في المواسم القادمة، أو بحثٍ آخر بعنوان رصد حالة المجتمع المدنيّ السوريّ في الدراما تاريخياً.

فهل يستطيع العاملون في الحقل المدنيّ السوريّ فعل ذلك، لتقديم نموذجٍ قابلٍ لنقله في الحياة إلى الدراما السورية. يبقى السؤال برسم نشطاء المجتمع المدنيّ السوريّ، وصناع الدراما السورية في حال إدراكهم لأهمية دور المجتمع المدنيّ السوريّ، صانع البديل الحقيقيّ القابل للحياة.

عدسة: جودي الحمصية - حي الوعر / حمص

عدسة: ديار معو - راس العين / سري كانييه

عدسة: يوسف برو - الحسكة

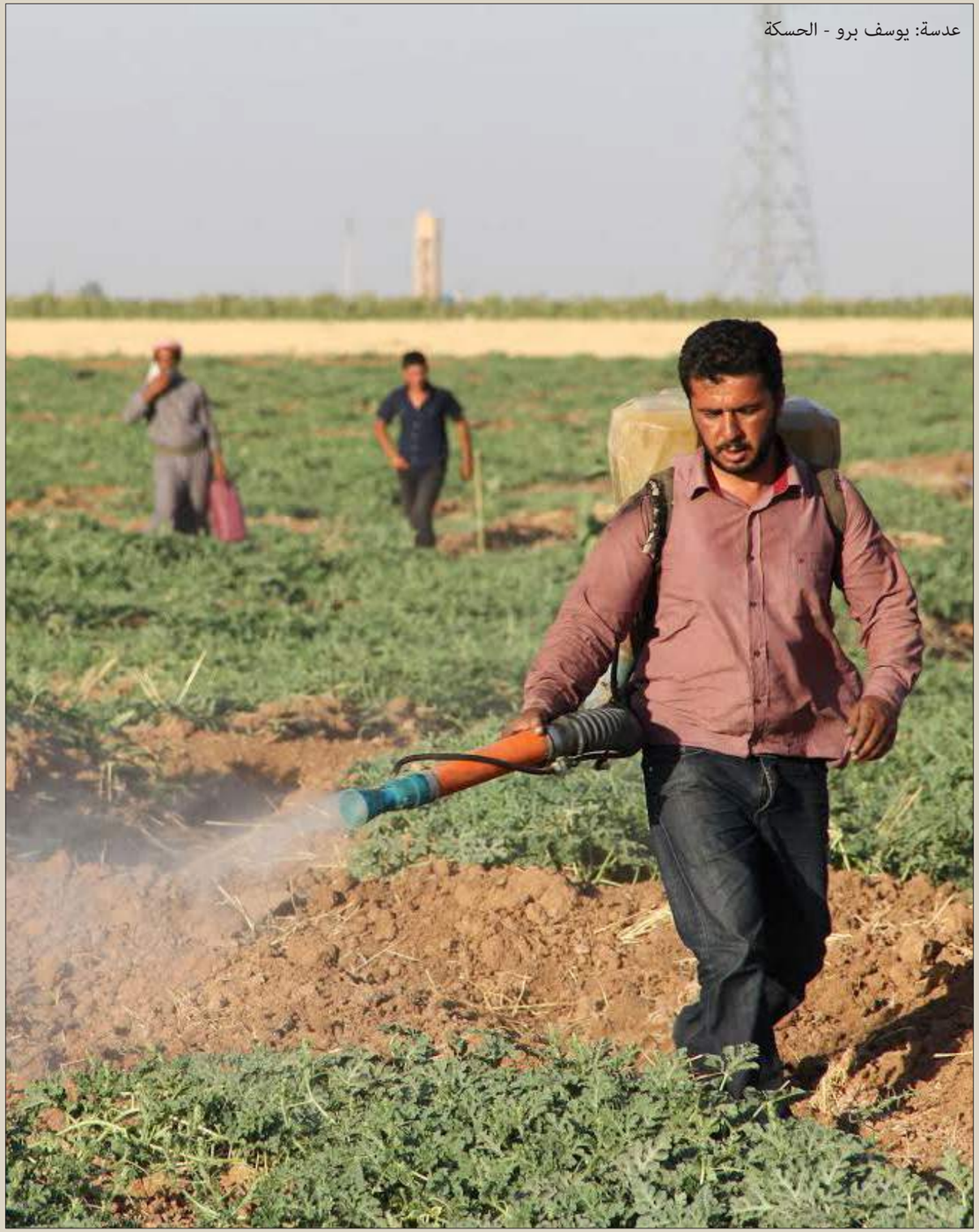

الخدمات القانونيّة المجانيّة للاجئين السوريين في الأردن

عاصم الزعبي

تعرّض اللاجىء السوريّ خالد للاعتقال لدى ضبطه يعمل في إحدى المدن الأردنية خلافاً للتعليمات والقوانين الخاصّة بالعمل، فقرّرت السلطات بناءً على ذلك إبعاده خارج البلاد، أو، حسب المصطلح المتعارف عليه، (قذفه) وإعادته إلى سوريا. باءت محاولات ذويه من أجل وقف قرار الإبعاد بالفشل، وفي النهاية تمكنوا من الوصول إلى أحد المراكز القانونية التي تقدّم خدمات مجانية، الذي أعدّ طعناً خاصّاً وقدمه إلى المحكمة الإدارية لإلغاء القرار. وبعد أن تمّ النظر في الطعن سُحب قرار الإبعاد وسُمح لخالد بالبقاء في الأردن بدل إعادته إلى بلده المضطرب الذي ربما يواجه خطر الموت فيه.

يرتبط مفهوم العدالة في العصر الحديث بالتقاضي أمام المحاكم التي تشكل أداةً للفصل في النزاعات القانونية وتقوم بإصدار الأحكام لإحقاق الحقوق بمختلف أنواعها المدنيّة، التي تتضمن كافة الحقوق المدنية والتجارية والجزائية ومنها إيقاع العقوبات بمرتكبي الجرائم من أجل ضمان حقوق الناس والوصول في نهاية الأمر إلى فرض سيادة القانون على الجميع.

لكن، مع مرور الوقت ظهر عجز فئةٍ من الناس عن الوصول إلى المحاكم والاستعانة بالمحامين بسبب عدم القدرة المادية على دفع التكاليف. كان ذلك سبب نشوء فكرة المساعدة القانونية، وتعدّ من أهم أركان التمكين القانونيّ.

وتقسم المساعدة القانونية إلى قسمين رئيسيين :

الأول: الاستشارات القانونية لكلّ من هو في حاجة إليها.

الثاني: التمثيل القانونيّ للفقراء والفئات المستضعفة في المجتمع.

بات اللاجئون السوريون في الأردن يشكلون عدداً كبيراً يكاد يندمج في المجتمع الأردني للتشابه في العادات والتقاليد وحتى القرابة والنسب بينهم.

وكأيّ مجتمع يواجه السوريون إجراءات قانونيةً مختلفةً، ويضطرون إلى المثول أمام المحاكم. بين من خرج إلى الأردن محامون سوريون، وكانوا يأملون في البداية أن يسمح لهم بممارسة مهنتهم، ولو بشكلٍ جزئيٍّ يخصّ اللاجئين السوريين، وتمّ تشكيل نقابة المحامين الأحرار - فرع درعا في بداية العام ٢٠١٣، ولكن ذلك اصطدم بالقوانين الخاصّة بنقابة المحامين الأردنيين التي رفضت أن يعمل المحامون السوريون في مهنتهم.

دفعت الأوضاع القانونية الجديدة قسماً من اللاجئين السوريين إلى التعامل مع محامين أردنيين في مختلف شؤونهم. وهؤلاء ممن يملكون من المال ما يمكّنهم من ذلك، وهم الفئة القليلة. أما غالبية السوريين فيعيشون حالةً من الفقر، فكان لا بدّ من البحث عن الحلول البديلة للحصول على الاستشارات القانونية ولوجود من يمثلهم أمام المحاكم الأردنية بشكلٍ مجانيّ.

ما هي المنظمات القانونية الأردنية التي تقدم خدماتٍ قانونيةً مجانية؟

هناك العديد من المنظمات القانونية الأردنية التي تقدّم خدماتٍ قانونيةً مجانيةً للسوريين في الأردن، وهي تحمل على عاتقها حملاً

كبيراً، من أبرزها ثلاث منظماتٍ تم اللقاء مع ممثليها في العاصمة عمّان وتحدثوا عن الخدمات التي يقدمونها.

مركز العدل للمساعدة القانونية:

عرّفته المديرة التنفيذية هديل عبد العزيز بأنه مؤسّسةٌ وطنيةٌ غير ربحيةٍ تسعى إلى تمكين المجتمع قانونياً من خلال ذوي الخبرة. ويقدّم خدمات التوعية والاستشارة القانونية لكلّ أفراد المجتمع، ويقوم بالتمثيل القانونيّ للمستحقين للوصول إلى مجتمع ينعم بالعدالة ويسوده القانون. يقدّم المركز خدمات المساعدة القانونية لغير المقتدرين، مع نشر الوعي بين أفراد المجتمع.

بالنسبة إلى اللاجئين السوريين يقدّم المركز الاستشارات القانونية والإدارية على حدٍّ سواء، إضافةً إلى التمثيل القانونيّ في بعض القضايا أمام المحاكم الأردنية.

فقد بلغت نسبة الاستشارات الإدارية للاجئين السوريين ٣٠,٤٥٪ من النسبة العامة لهذا النوع من استشارات المركز، منها استشاراتٌ خاصّةٌ بقضايا إبعاد اللاجئين إلى سوريا بنسبة ٥,٧٦٪.

وبلغت نسبة اللاجئين السوريين من المستفيدين من خدمات المركز ١٥٪ للاستشارات و١٧٪ في التمثيل أمام المحاكم في بعض القضايا. وتشكل النساء حوالي ٦٠٪ من هذه النسب في ما يتعلق بالقضايا والاستشارات الشرعية.

منظمة أرض العون القانوني:

تحدثت المحامية سمر محارب عن عمل المنظمة على تعزيز وحماية حقوق الإنسان والدفاع عنها من خلال تقديم الخدمات القانونية المتعددة والمجانية، ومنها الاستشارات القانونية والوساطة القانونية والتمثيل القانونيّ أمام المحاكم للفئات المحتاجة للوصول إلى العدالة، إضافةً إلى خدماتٍ اجتماعيةٍ أخرى، من خلال الاعتماد على معايير وأسّس محددة. تهتم المنظمة بالتنوع، ولا تستثني أيّ فردٍ أو فئةٍ من فئات المجتمع، وتستجيب لمختلف حاجات الناس من كلّ الجنسيات في الأردن.

أسهمت المنظمة في تقديم خدماتٍ عديدة للاجئين السوريين، من أبرزها الاستشاراتٍ القانونية المجانية، إضافةً إلى تمثيلهم في مرافعات بعض القضايا أمام المحاكم الأردنية، وبشكلٍ خاصٍّ القضايا الشرعية والإدارية التي تمسّ وجود اللاجئين والعوائق الإدارية التي تواجههم، ولا سيما في استصدار بطاقات الخدمة الممغنطة والقرارات الخاصّة بالترحيل.

كما تقدّم المنظمة خدمات الدعم النفسّي والاجتماعّي للاجئين السوريين في المدن والمخيمات، وقامت بافتتاح مكتبٍ للخدمات القانونية المجانية في مخيم الزعتري للاجئين السوريين. وعقدت عدّة دوراتٍ للمحامين السوريين المقيمين في الأردن للتعريف بالقانون الأردنيّ والقوانين الخاصّة باللجوء وكيفية بناء مؤسّسات المجتمع المدنيّ.

مركز ميزان للقانون

وينفذ برامج مساعدةٍ قانونيةٍ للاجئين لتمكينهم من معرفة حقوقهم والمطالبة بها وتوعيتهم بواجباتهم. كما ينفذ برامج دعمٍ قانونيةٍ لحماية المرأة والأسرة، كما قالتْ مديرة المركز إيفا أبو حلاوة.

باتت المساعدة القانونية المجانية ضروريةً في سوريا وخارجها بالنسبة إلى اللاجئين. يستطيع رجال القانون من قضاة ومحامين سوريين -والذين باتوا يتوزّعون في كلّ دول العالم- تقديم الاستشارات هاتفياً على الأقلّ، بعد التعرّف على قوانين البلد المضيف. ولا يتعارض العمل بهذه الطريقة مع أيٍّ من القوانين العالمية.

كما يجب التخطيط لهذا النوع من المنظمات لتكون جاهزةً للعمل في سوريا في المستقبل، إذ سيكون آلاف السوريين الذين يعيشون تحت خط الفقر في حاجةٍ إليها.

المساعدة القانونية حقٌّ من حقوق الإنسان يجب أن تكفله الدول، لأنها ضمانةٌ لحقّ الوصول إلى نظام العدالة وحقّ الدفاع والاستعانة بالمحامين بناءً على مبدأ المساواة بين كلّ الناس بغضّ النظر عن المقدرة المالية وأيّ أساسٍ آخر للتمييز بين البشر.

النظام السوريّ يسعى إلى محاربة المقاطعة الاقتصادية بالأسواق الكازاخستانية

سامر كعكرلي

بشّرت صحيفة البعث الحكومية ، في عددها الصادربتاريخ٢٠١٦/٧/١٨،بأنالمؤسّساتالاقتصادية التسويقية قد وجدت في كازاخستان الأمل المنشود لتوجيه الصادرات السورية إليها بعد أن تقطعت السبل بتلك المؤسّسات في البحث عن شريكٍ تجاريٍّ يرقى إلى مستوى الشركاء الذين كانوا قبل الثورة السورية، مثل الدول العربية والأوربية. وهؤلاء جميعهم، أو على الأقلّ أغلبهم، قد قاطعوا النظام السوريّ بسبب سياساته المتمثلة في استعمال العنف المفرط في قمع الحراك الشعبيّ..

وبنت الصحيفة بشائرها على دراسةٍ قام بها بعض اقتصاديّي النظام الذين -كما تقول الصحيفة- استقصوا حالة الأسواق الكازاخستانية، وتبيّن معهم أن هذا البلد الآسيويّ بلدٌ هامٌّ على خارطة التبادل التجاريّ الدوليّ، مستشهدين بحصول هذه الدولة على مراتب متقدمةٍ في استيراد بعض السلع. وللمفارقة فإن كافة السلع التي استشهدت بها الدراسة سلعٌ صناعية، مثل المعدّات والآلات الثقيلة والخفيفة وبعض التجهيزات من الصناعات الهندسية الثقيلة. ولا يدري أيّ متابعٍ كيف ستنافس الصادرات السورية تلك السلع التي تستوردها كازاخستانٌ -كما أفادت الدراسة- من الصين وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية، إذ تسيطر هذه الدول على ٥٧٪ من واردات كازاخستان.

كازاخستان دولة آسيوية، تبلغ مساحتها /٢,٧/ مليون كيلومتر مربع، وعدد سكانها حوالي /١٦/ مليون نسمة. حصلت على استقلالها عندما انفرط عقد الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٩١.

يعتمد الاقتصاد الكازاخستانيّ بشكلٍ رئيسيٍّ على النفط ٥٥٪ من إجمالي الواردات، ويليه قطاع الزراعة، (قمح، شعير، رز).

بالعودة إلى العلاقات التجارية بين سوريا وكازاخستان فإنها -بشكلٍ إجماليّ- غير مبشّرةٍ بمستقبلٍ واعدٍ بل على العكس، فإن كازاخستان لا تعدّ من الشركاء التجاريين الهامين لسوريا.

وعند الاطلاع على بيانات المكتب المركزيّ للإحصاء يتبين أن الميزان التجاريّ مائلٌ لمصلحة كازاخستان. ففي عام ٢٠١١ بلغت الصادرات السورية إلى كازاخستان ٢,١٥٥,٩٠٠ دولارٍ أميركيّ (تمّ احتساب الدولار بسعر ٥٠ ليرةٍ سورية) أما واردات سوريا من كازاخستان فقد بلغت، حسب الإحصاءات نفسها، ٧,٢٦٤,٣٨٠ دولاراً. وقد شكلت السلع النسيجية المُصنّعة حوالي ٦١,٨٧٪ من إجمالي الصادرات السورية إلى تلك الجمهورية، وخلت كافة الصادرات السورية من السلع الزراعية. وينطبق هذا على السنوات السابقة (٢٠٠٤ – ٢٠٠٩)، باستثناء استيراد كازاخستان أسمدةً مركبةً / NPK/ بقيمة ٤٠٥٢٠ دولاراً في عام ٢٠٠٩.

وعندما نطالع حجم ونوعية واردات كازاخستان من السلع الزراعية من مختلف دول العالم، والتي بلغت في عام ٢٠١٣ حوالي ٢١ مليار دولارٍ (حسب قاعدة بيانات منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة FAO)، نجد أن كازاخستان قد استوردت في عام ٢٠١٣ حوالي ٣٦ سلعةً زراعيةً بقيمةٍ تجاوزت ٣٠٠ مليون دولار. وهذه السلع (ولا سيما الحمضيات) يتم إنتاجها في سوريا، وغالباً ما تعاني من اختناقاتٍ تسويقيةٍ في كلّ عام.

بذلك يتضح أن السلع الزراعية السورية لا تثير شهية المستوردين الكازاخستانيين، أو أن أسواق كازاخستان لا تثير شهية المصدّرين السوريين. وهنا يبقى السؤال مشروعاً لماذا الآن -وبعد أن دمرت معظم الصناعات النسيجية، وهي السلع الرئيسية بالنسبة إلى كازاخستان- تهتم المؤسسات الاقتصادية السورية بهذا البلد؟

للإجابة عن هذا التساؤل لا بد من العودة إلى بداية انطلاق الثورة السورية، وحملة المقاطعة الاقتصادية التي فرضت على سوريا من الاتحاد الأوربيّ والدول العربية. عندها قرر النظام الاستعاضة عن اتفاقياته الاقتصادية الموقعة مع تلك الدول، مثل اتفاقية منطقة التجارة العربية الحرّة الكبرى GAFTA ومشروع اتفاقية الشراكة الأورومتوسطية وحتى اتفاقية منظمة التجارة العالمية، بدخول تكتلٍ اقتصاديٍّ هو الاتحاد الأوراسي الذي تقوده روسيا. وقد ظهرت تلك الفكرة أوّل مرّةٍ عندما نشرت صحيفة الثورة، في عددها الصادر بتاريخ ٢٠١٤/١١/١٧، تفاصيل الخطوات التي يتخذها النظام للانضمام إلى هذا الاتحاد المؤلف من بعض الدول من مخلفات الاتحاد السوفييتيّ، وهي روسيا الاتحادية وروسيا البيضاء (بيلاروسيا) وكازاخستان وطاجيكستان وقرغيزستان. وقد بدأ الاتحاد الاقتصاديّ بين الدول المذكورة في ٢٠١٠/١/١ على شكل اتحاد جمركيٍّ بين روسيا الاتحادية وروسيا البيضاء وكازاخستان، وانضمّت لاحقاً كلٌّ من طاجيكستان وقرغيزستان، وذلك بفكرةٍ من رئيس وزراء روسيا حينذاك «فلاديمير بوتين»، ليكون هذا الاتحاد خطوةً أولى في طريق تشكيل تحالفٍ مشابهٍ للاتحاد الأوربيّ في جمهوريات الاتحاد السوفييتيّ السابق. ونظراً للطبيعة الدكتاتورية الموروثة من الحقبة السوفييتية وافق على الانضمام كلٌّ من دكتاتور روسيا البيضاء «ألكسندر لوكاشينكو»، المتمسك بالسلطة منذ عام ١٩٩١، أي منذ استقلال البلاد عن الاتحاد السوفييتيّ، ودكتاتور كازاخستان «نور سلطان نزاربابيف»، وهو أيضاً -مثل رئيس روسيا البيضاء- الرئيس الأوحد منذ استقلال كازاخستان عن الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١.

وكان الغرض من هذا الاتحاد الجمركيّ -كما تصور «بوتين»- هو أن يتحول إلى اتحادٍ اقتصاديٍّ متكاملٍ عام ٢٠١٥، بعد انضمام باقي دول الاتحاد السوفييتي السابق له. ولكن حسابات «بوتين» لم تجرِ كما خطط لها، فقد تلقى الاتحاد الضربة الأولى والقاضية عندما رفض الشعب الأوكرانيّ اقتراح رئيسه السابق «فيكتور يانوكوفيتش» الانضمام إلى هذا الاتحاد، وفضّل الانضمام إلى الاتحاد الأوربيّ. ولدى إصرار الرئيس الأوكرانيّ، مدعوماً من روسيا، على موقفه الرافض للانضمام إلى الاتحاد الأوربيّ، انتفض الشعب في وجهه وأسقطه لينهي بذلك حلم «بوتين» في إقامة هذا الاتحاد، الذي اقتصر على الدول الثلاث المذكورة، روسيا وروسيا البيضاء وكازاخستان.

وقد يقول قائلٌ: ما الضير في الاستغناء عن اتفاقياتٍ اقتصاديةٍ تمّ إبطال العمل بها بموجب العقوبات، ودخول أخرى جديدةٍ تعود بالفائدة على المواطن السوريّ؟

وأيضاً للإجابة عن هذا التساؤل نعود إلى الحجم الاقتصاديّ التي تشكله دول الاتحاد الأوراسيّ، ومقارنته مع الاتحاد الأوربي أو مع منطقة التجارة العربية.

بالنسبة إلى السوق التي يمتلكها الاتحاد الأوراسيّ فإن عدد سكان دوله يبلغ حوالي ١٦٨,٨ مليون نسمة، أي ما يعادل ثلث عدد سكان الاتحاد الأوربيّ البالغ ٥٠١ مليون نسمة، وتقريباً نصف عدد سكان الدول العربية البالغ ٣٨٩ مليون نسمة. أي أن سوق الاتحاد الأوراسيّ يعادل تقريباً نصف سوق الدول العربية وثلث سوق دول الاتحاد الأوربيّ.

أما بالنسبة إلى الناتج المحليّ الإجماليّ GDP فإنه يبلغ لدول الاتحاد الأوراسيّ -حسب تقديرات البنك الدوليّ- ٢,٨٩ ترليون دولارٍ أميركيّ (١ ترليون يساوي ١٠٠٠ مليار)، وتستحوذ روسيا الاتحادية على نسبة ٨٩,٢٧٪ من إجمالي الناتج المحليّ لمجموع دول الاتحاد. وبالمقابل بلغ الناتج المحليّ الإجماليّ لدول الاتحاد الأوربيّ ١٨,٤٦ ترليون دولار أميركيّ، وللدول العربية حوالي ٢,٧ ترليون دولار (حسب المصدر نفسه).

وبالتالي فإن الحجم الاقتصاديّ للاتحاد الأوربيّ وللدول العربية لا يمكن أن يعوّض بالاتحاد الأوراسيّ. ومن هنا يتبين أن القرارات التي تصدرها المؤسّسات الاقتصادية التابعة للنظام السوريّ قراراتٌ ارتجاليةٌ تؤخذ فيها المصالح السياسية للنظام الذي يرغب بقوّةٍ في تثبيت حكمه الذي تزعزع بسبب الثورة.

عن حارة اليهود الدمشقيّة

فارس المرّ

بهذه الحرقة والفجيعة ينعى الإعلاميّ والمسرحيّ والروائيّ اليهوديّ الفرنسيّ السوريّ الأصل موسى عبادي (١٩١٠-١٩٩٧) مدينته دمشق، تلك المدينة المستهلكة والمسروقة من قبل الصغار وزوّار الليل، ويعلن وفاة حارته إلى الأبد. عبادي ابن حارة دمشقيّة أصيلة ضاربة في القدم، تلك الحارة أو لنقل الحيّ اليهوديّ المهجور الذي يجاور الحيّين المسيحيّ والإسلاميّ داخل سور دمشق القديم. الداخل إلى هذه الحارة يستطيع فهم الحرقة التي تحدّث بها عبادي عنها، فبين البيوت المهجورة والمغلقة و«الممنوعة من الاقتراب أو التصوير»، والبيوت التي استملكها الفلسطينيون المهجّرون من بلادهم، والبيوت التي أعطيت لبعض عائلات حزب الله اللبنانيّ كمكافأة لهم على تهجيرهم أبناء سوريا عقب اندلاع الثورة عام ٢٠١١؛ تجد شبحاً يناشدك الخلاص؛ شبح اليهود المهاجرين والغائبين عن بيوتهم ومحلّاتهم وبقايا صورهم التي ما زالت تملأ الجدران العتيقة وراء الأبواب المغلقة والشبابيك المكسورة. فعقب مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ رفع الحظر عن سفر اليهود السوريين وبدأت الهجرة الكبيرة وتناقص عددهم، حتى بقيت منهم اليوم قلةٌ لا تتجاوز العشرين شخصاً معظمهم فوق الستين من عمره.

أفرغت هذه الحارة، كما لو أنها ما كانت مأهولةً بساكنيها في يوم ما، كما تُفرغ دمشق اليوم. فلم يبق من أبناء البلد سوى الفقراء والمعتّرين ومن لا حول له ولًا قوّة، أما البقية فبين من لا يهتمّ لدماء أبناء بلده وبين إيرانيٍّ أو لبنانيٍّ أو عراقيٍّ وغيرهم جلبهم النظام كي يحموا عرشه وسلطته، فالمشهد يختصر في هذه الحارة كما لو أنها كانت دمشق الجريحة.

«لكن لمن أقلّبُ جمر الذكريات، طالما دمشقي لم تعد في دمشق، وحارتي اندثرت إلى الأبد؟! حارتي العتيقة، حيث يجد أحدنا نفسه حكَماً وسط نزاعٍ لا يعرف عنه شيئاً أو عن المعنيين به».

حارة اليهود في دمشق

عائلة يهودية من حلب مطلع القرن العشرين

نعود إلى هذه الحارة اللغز التي لطالما سحرتنا نحن الذين لم نشهد عصر سوريا الذهبي، حين كان الجميع سوريين بامتياز، لا فرق بينهم في الحقوق والواجبات. وإن حاولنا إيجاز التاريخ الحديث في ما يخصّ اليهود السوريين في الحياة العامة والسياسية نرى في وثائق الحكومة التي قامت عقب الثورة العربية الكبرى أنّ حاخام دمشق الأكبر (يعقوب دانون) كان أحد رؤساء الطوائف الثلاث الذين بايعوا الشريف فيصل بن الحسين ملكاً على سوريا، وتم تمثيلهم آنذاك في البرلمان الذي كان يسمّى (المؤتمر السوريّ العام الأول)، في عام ١٩١٩، عبر الوجيه اليهوديّ الثريّ (يوسف لينيادو)، ابن أحد البيوتات العريقة في هذه الحارة، الذي لا يزال قائماً حتى هذه اللحظة رغم ما أصابه من تشوّهاتٍ وسرقاتٍ وعبثٍ من الأشقياء وتقلبات الزمن.

عقب انهيار هذه التجربة البرلمانية السوريّة الأولى، ودخول قوات فرنسا دمشق، تمّ تعطيل البرلمان وحلّه. بقي معطلاً لفترة طويلة (ثمانية أعوام بشكلٍ فعليّ) حتى جاءت الانتخابات البرلمانية التي دعا إليها الشيخ تاج الدين الحسني عام ١٩٢٨، فتمّ تمثيل اليهود بالنائب يوسف لينيادو مرّةً أخرى، وكان هذه المرّة نائباً عن الكتلة الوطنية التي كان يرئسها الرئيس هاشم الأتاسيّ وبعضوية الكثير من الأسماء السياسية اللامعة كفارس الخوري وإبراهيم هنانو وسعد الله الجابري وشكري القوتلي وجميل مردم بيك وفخري البارودي وغيرهم الكثير ممن أثّروا في الحياة السياسية والاجتماعية السورية في تلك المرحلة بشكلٍ كبيرٍ وأثّرت فيهم.

بقيت الحياة اليومية الاجتماعية والصناعية والسياسية لليهود السوريين في مناطق سكنهم الكبرى (دمشق؛ حلب؛ القامشلي) مستقرّةً نسبياً، كغيرهم من شرائح المجتمع السوريّ المتنوّع، فنشطوا بأعمالهم التجارية والصناعية إذ كانوا من أهم تجار البلد ومصنعيها في تلك الفترة وما قبلها، كورشات الخياطة التي كانت تعجّ بها حارة اليهود والتي لا زالت بقاياها حاضرةً حتى الآن، إذ كانت غالبية بناتهم يتقنّ هذا الفن نظراً لأن اليهوديات هنّ من يقمن بدفع المهر للعريس. وغيرها الكثير من الصناعات، كالكبريت والنحاس الذي اشتهروا به، فكان شيخ كار النحاسين محصوراً بآل نصيري، الذين كانوا يملكون بازار أميّة الكائن قرب حارة اليهود في الشارع المستقيم – طالع الفضّة، والمغلق منذ خروج السيد موريس نصيري آخر أبنائهم في هذا الكار. أمّا البنوك الخاصة فقد نشط في تأسيسها أثرياؤهم، كآل صفرة وزلخا وخضّوري والجاجاتي، الذين امتلكوا العديد من مصانع الأقمشة أيضاً، نظراً للثراء الباذخ وأعمال الفائدة التي كان غالبية اليهود يعتمدون عليها ولا زالوا، أمّا عن صناعة الذهب والماس فحدث ولا حرج.

جاءت النكبة عام ١٩٤٨، وهجّرت خلالها عصابات الهاجاناه الفلسطينيين من أراضيهم. ونتيجة المجازر التي وقعت على أيدي هذه العصابات بدأ الغضب ينصبّ على الأحياء اليهودية في العواصم العربية، ففي دمشق أُحرق كنيسٌ وقُتل بعض أبناء الطائفة من قبل الغاضبين والحانقين لما جرى بفلسطين وأبنائها. بالتأكيد كان هناك من يساند الحركة الصهيونية في هذه الحارة الدمشقية، شأنهم شأن غيرهم من المجتمعات اليهوديّة المشرقية، وتبقى الغالبية التي أخذت بالهجرة تباعاً بُعيد هذا التاريخ حتى تناقصت أعداد اليهود في دمشق إلى ما وصلت إليه اليوم، متخذةً من أحد أحياء بروكلين، في الولايات المتحدة الأمريكية، سكناً وحيّاً جديداً يذكرهم بتلك الحارة القديمة حيث كان أجدادهم. وهناك ما زالوا يتحدثون بلهجتهم الشاميّة المحببة، ويعدوّن الوجبات المشرقية التي جمعتهم ذات يومٍ مع أبناء بلدهم، ويتغنون بذكرياتٍ وصورٍ بعيدةٍ لبيوتهم.

هذه الحارة الأثرية المليئة بالتاريخ، كبقية الحارات الدمشقية القديمة، مهدّدةٌ بضياع تاريخها، بين ترسانة الحرب وبين اللصوص ذوي البدلات المموّهة ممن لا يهتمّون لبشرٍ أو حجر، تقف كعجوزٍ تنتظر من يسند يدها لا يلويها، لتروي له حكايا صباها. وفضلاً عمّا شهدته من فترةٍ هامةٍ في التاريخ السوريّ المجتمعيّ والسياسيّ، فهي ذات جماليةٍ في البناء الضارب عمقاً في التاريخ، ولكنها تنهار اليوم كما تنهار دمشق، بيوتاً وذكرياتٍ باتت تسحقها يد الخراب بلا رحمة.

وجوهٌ مختلفةٌ لسوريا واحدة

قراءةٌ في رواية «نزوح مريم» للدكتور محمود الجاسم

أنجيل الشاعر

«يـا سـارة نحن نأكل المـأكـولات السورية نفسها، ونغني الأغاني الفيروزية والشعبية نفسها، نؤمن بالخرافات والحكايات نفسها، ونحلم ذات الأحـلام، فلمَ تقف الانتماءات الدينية بوجه الزواج؟ لماذا، فهي انتماءات لم نختارها؟ سوريا استوعبت كل الأديان ومزجتها بطريقتها السورية. أراهن لو أي سوري بحث في شجرة نسبه لوجد الأديـان كلها تجري بدمائه. إنها سوريا» (ص ١٠٠)

للأزمة السورية حكايةٌ طويلة، أكبر من أن تجمع بين دفتي كتاب. وأحلام السوريين، التي ضاعت بين اللحى الطويلة وبراميل النظام، أكثر جمالاً من اللغة المكتوبة أو المحكية. بينما اللغة السهلة والسريعة والتلقائية، التي توحي بمشاهد تعبيريةٍ وتسهم في استنطاق الجماد والحيوان، لغة الدكتور محمود الجاسم، من مواليد الرقة والأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية بجامعة قطر؛ أضفت على روايته «نـزوح مريم» جماليةً أنيقةً تشد القارئ العارف بالأزمة السورية إلى معرفة المزيد بشغفٍ ومتعةٍ بالرغم من قسوة الحدث.

قد تبدو أحـداث الـروايـة سرداً لمجريات «الأزمة» وتسلط قوى الأمر الواقع في محافظة الرقة، لكن همّ الكاتب في مكانٍ آخر، تكشفه لنا شخصيات الرواية التي تختزن كلٌّ منها حكايةً سوريةً يتصادى فيها الواقع والتاريخ، وتشفّ كلٌّ منها عن وجهٍ من وجوه سوريا البلد والشعب، حيث يتناغم الإنسان والطبيعة والمجتمع في فعلٍ واحدٍ خلاقٍ هو الحب، الذي من دونه لا شفاء للوطن ولا خلاص للإنسان.

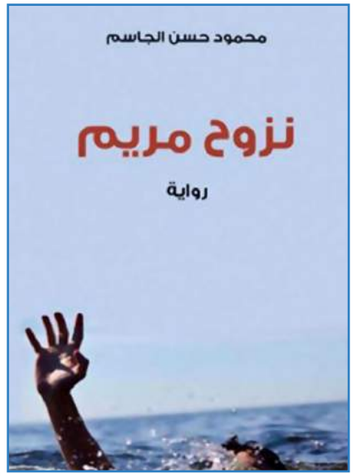

تجري أحـداث الـروايـة في الرقة. «سـارة» المسيحية، ابنة «محردة» بريف حماة، تتزوج «هاشم» ابن الرقة، البدويّ المؤمن بالتعددية الدينية والفكرية وبالمساواة. يتعارفان أثناء عملهما في مكانٍ واحـد «مزرعة النجاة»، هي مدرّسة اللغة الإنكليزية وهو المهندس مدير المزرعة. تتقبّل «خديجة» أم هاشم زواجهما بكثيرٍ من الرضى والمحبة، وهي أيضاً من أمٍّ أرمنيةٍ مسيحية. «بشير» أخو هاشم، أمين شعبة حزب البعث في الرقة، مختلفٌ عنه فكرياً، وحاز عصاً كهربائيةً لشلّ حركة المتظاهرين منذ أول يوم وصلت فيه أصوات الاحتجاجات إلى الرقة، لا يتطلع إلا إلى منصب يرتقيه. زواج المسيحية والمسلم يثمر طفلةً اسمها «مريم»، ستكون بطلة الرواية العميقة، المستمعة إلى سرد الحكاية من أمها «سارة» البطلة الثانية والشاهدة على كل ما يجري من آلام وقهرٍ وتعذيب، واغتصابٍ للأرض والنساء، من غليانٍ أصاب الدم جرّاء هدر الإنسان وانتهاك الكرامة وضياع الإنسانية فوق أرضٍ اختنق فيها الهواء وتسمّم تحت الرايات الرسمية والألوية الدينية المتناحرة. ما صوّره الكاتب من طوفانٍ ليس خيالاً، بل واقعٌ مريرٌ جرف وما زال يجرف سوريا شعباً وأرضاً وحجارةً نحو هاوية المجهول.

تقوم الرواية على أربعة فصول، منسجمة ومتناسقة ومتماسكة، مرتبطة بإتقانٍ بالجغرافيا والتاريخ، والتسلسل المنطقيّ للأزمة السورية. «عـود الخيزران»؛ «أيام المولية»؛ «على كتف العاصي»؛ «سمك القرش» تتوالى فيها أحداثٌ معروفةٌ ومألوفة، ساخنةٌ وسريعة، تزيد من تشويق القارئ وإثارته وإن كان معايشاً لتلك الأحداث ومعاصرها. يصوّر الكاتب أحداث الرقة بكل تفاصيل الحياة الإنسانية، النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. كما أدخل على تلك المنطقة منظومةً فكريةً تدعو إلى التعايش السلميّ والتسامح وقبول الآخر بكلّ ما يحمله من خصائص مختلفة، كالدين والسياسة والعرق.

تبدأ الرواية مع بداية الأحـداث في الرقة، ترويها «سارة» لابنتها «مريم»، ثم تتصاعد بدخول «داعـش» إلى المدينة. تصوّر لها مشاهد القتل والدمار من جهة، ومشاهد المظاهرات السلمية التي تُقابَل بالرصاص والاعتقال من جهةٍ أخرى. وبين المشهدين تنتقل «سارة» إلى الماضي الجميل التي عاشته

مع «هاشم» فتسرد قصة حبهما وزواجهما رغم معارضة أهلها. وفي كلتا الحالتين على القارئ أن يكون حاضراً للانتقال المفاجئ والسلس بين ماضٍ جميلٍ مليءٍ بالحب والاحترام وسط أسرةٍ تعترف بالإنسان وتحترم اختلافه، وحاضرٍ أليمٍ فُتحت عليه أبواب الجحيم، من سلطة الدولة التي مارست كلّ أنواعَ الظلم والاستبداد، وسلطة «داعش» التي مارست كل أنواع التطرف الدينيّ، والبطش والقتل والتعذيب، وفرض السيطرة على ممتلكات الشعب الذي حُصر بين فكّي كماشة الحرب.

بحلول عام ٢٠١١، وانطلاق شرارة الثورة من دمشق والعديد من المحافظات السورية، ظنّ «سارة» و«هاشم» أن «الرقة» ستنأى بالنفس، وتبقى تنعم على ضفاف الفرات بنوم هنيء. لذلك ظلت «سارة» تتغنى بذكرياتها الجميلة في مزرعة النجاّة وحبها «لهاشم» كلما خنقتها فجائع الحاضر، إلى أن دخل عليها زوجها في ربيع عام ٢٠١٢ منقبض الوجه والروح ليخبرها أن البلاء وصل إلى الرقة، وفي الحقيقة وصل البلاء إلى بيت «هاشم» إذ اعتقله تنظيم «داعش» لظنهم أنه أخوه «بشير» الشبّيح حسب تعبيرهم، وموت الأم «خديجة» حسرةً على المصير المجهول لابنها واختفاء «بشير» وتعرّض «سارة» للغطٍ اجتماعيٍّ فظيعٍ ونبذها من قِبَل المجتمع الإسلاميّ الجديد على أنها النصرانية الكافرة. حتى أجبرها هذا الوضع المأساويّ على العودة إلى «محردة» مسقط رأسها، بطلبٍ من أهلها وبمساعدة جارهم «سالم» ووالدته، اللذين يمتلكان من الطيبة الريفية والشهامة ما يكفي لإغاثة الملهوف. تصل سارة إلى «مسكنة»، ومنها، وبمساعدة أصدقاء قدماء، تصل إلى «محردة». تصاب «مريم» بصدمةٍ نفسيةٍ جرّاء ما جرى أمام عينيها من تعذيب والدها من قِبَل «داعش» وما رأته من أهوالٍ في الطريق الطويلة أثناء سفرها برفقة والدتها. يموت والد «سارة» فتقرر الهجرة إلى «فرنسا» حيث صديقتها «رنا». تخوض «سارة» مغامرة الهجرة بكافة أنواعها من تعرّضٍ للاغتصاب والضرب والإهانة إلى التخبط في مياه بحر «إيجة» حيث تتعرّض للنصب والاحتيال من المهرّبين تجّار البشر والدم، ملوك الحرب، فينتهي بها المطاف وابنتها في أحد مخيمات اللجوء على الحدود التركية السورية. تموت «سارة» إثر نزيفٍ حادٍّ في المعدة، ويعود «هاشم» هارباً من سجون «داعش» ليلتقي ابنته «مريم» آملين بغدٍ جديد.

من خلال أحداث الرواية، ومع شخصياتها التي تبدو لك حقيقية، وهي بالطبع حقيقية مهما اختلفت الأسماء والأديان والألوان؛ نرى ما يخفيه الكاتب خلف سطوره بدلالةٍ لغويةٍ تفسر الظواهر الاجتماعية والسياسية

في المجتمع السوريّ. ينقلها بصورةٍ مصغّرةٍ وشخصياتٍ مختلفة، يرصد أفعالها وردّات أفعالها، يصوّر آلامها وآمالها: الأم «خديجة» بإسلامها الذي لم يكن حائلاً بينها وبين مسيحية «سارة» المحتفظة أيضاً بدينها ومعتقدها؛ «هاشم» الشريحة المعارضة لكل ما يجري من أحداث، صامتٌ، رافضٌ للعنف، يحاول الحفاظ على السلم الأهليّ وحقن الدماء؛ «بشير» المؤيد، المتسلق على جثث الشعب للوصول إلى غايته (كرسي في مكانٍ ما) وإرضاء رؤسائه؛ «سارة» سوريا الحاضر، الوحيدة، المهاجرة، النازحة، المتدفقة ألماً وقهراً وظلماً، حاضر يموت يوماً ليولد مستقبلاً يشرق في عيني «مريم» سوريا جديدةً واعدة، تعود لتحتضن الاختلاف وتعترف به، وتوحد الأديان، تؤمن بالتعددية والمساواة. وهروب هاشم من سجون داعش يعني انتصار الشعب السوريّ بقوة إرادته وتصميمه على تشكيل ذاته من جديد.

«نزوح مريم» زلزالٌ في الرواية السورية كما أطلق عليها الكاتب السوري «نبيل سليمان»، كما أنها ضمن القائمة الطويلة لجائزة البوكر للرواية العربية.

ناجي عبيد.. آخر نازيّي العرب..
ما زال مسدس أنطون سعادة على خاصرته
٩٥ عاماً وما زال يحلم..

سناء إبراهيم

تدرّب على أيدي النازيين، ومهووسٌ بإطعام قطط دمشق. مجرّبٌ باللون والخط والكتلة، ومنتمٍ إلى رسّامي السوق، ومجايلٌ لأعلام التشكيل السوريّ ومؤسّس. يتجنبه مثقفو البلد ونقّادها. ثريٌّ بما لا يسمح بمناقشة ثرائه. معتكفٌ في مرسمه (في التكية السليمانية) حيث تواضع المكان. معمّرٌ من معمّري البلاد، ولا يرى للموت أهميةً والموت يقرع بابه. ضابط استخباراتٍ زمن الوحدة السورية - المصرية، ومتسائلٌ عن سرّ الكون وسؤال الوجود. ذاكرته كما الصوّان وجسده كذلك. لم يقترب من الصلصال يوماً، وسيرته ممتلئةٌ بالتفاصيل، تفاصيل يمكن إعادة نحتها كما الصلصال أيضاً، قد يكون أبرزها أنه صحب أنطون سعادة إلى حتفه، وفي الطريق نال (مسدس) سعادة، وما زال المسدّس ملقّماً كما لو أنه جاهزٌ للإطلاق.

إنه ناجي عبيد، صاحب «عنترة وعبلة»، الرجل الذي لا يخلع النظارة السوداء عن عينيه، واحدٌ من بين تشكيليين سوريين، ليس أوّلهم فاتح المدرس والياس الزيات ونذير نبعة والمنتحر في مجازفة الوجع لؤي كيالي، لكلٍّ من هؤلاء ما علق في ذاكرة تاريخ اللون. أيّ لونٍ عالقٌ في التكية السليمانية؟ أيّ لونٍ هو ناجي عبيد؟

من الصعب أن تقول من هو ناجي عبيد (ولد ١٩١٨)، ومن الصعب أن تختصر عمره الممتدّ على قرنين من الزمن في كلماتٍ عابرة، فإذا ما سألته من أنت؟ يجيبك: أنا إنسان الكوكب، باستطاعتي أن أرسم أعمالاً تعادل فن عصر النهضة قبل ٦٦٠ سنة.

ناجي.. جدٌّ لابنه

في الركن الخلفيّ المخفيّ من حياته، عاش ناجي سنوات عمره وشربها. لم يبكِ عندما

رافق أنطوان سعادة إلى إعدامه، لكنه يبكي اليوم عندما يرى إحدى لوحاته وقد أصابها التلف. هو بطل سوريا في الملاكمة والرماية، وهو العاشق الذي يكبر زوجته بـ٣٧ عاماً، كما هو الجدّ والأب والصديق لولده محمد الذي يصغره بـ٨٥ عاماً. هو الآن في طريق الزوال كما أخبرنا، رئته أصيبت بالتهتك، وقلبه فقد أهليته، لذلك يستعد لدخول المشفى، و»جائز أن لا يعود» كما قال لنا. من أجل ذلك يرتب ممتلكاته علّها تعود بالفائدة على ابنه. لا يخاف الموت، لكنه يُبقي صوت الراديو عالياً، فالضجيج يحول دون التأمل والتفكير.

أحبّته الحياة كما لم تحبّ إنساناً آخر (هو يقول ذلك)، فمنحته ٩٧ عاماً من عمرها، كل سنةٍ منها تساوي حياةً كاملة. وإذا سألته ماذا تعني لك هذه السنوات؟ يقول: «٩٧ سنة هي أشبه بأكلة بتحبّيها، بتاكليها كل يوم، وبعد ما تشبعي منها بتقومي بتغسّلي، وكأنكِ ما أكلتي»، و: «هذه هي الحياة، أنا عرفت وجودي وإمكانياتي وتفهّمت الحياة، لهذا لا أخشى مغادرتها».

عيونهنّ المطموسة

الحركة التشكيلية السورية ممهورةٌ بثلاث بصماتٍ لناجي عبيد؛ رسم عنتر وعبلة فبات خيال تاريخهما حصرياً به، ورسم العين المغمضة (المطموسة) في معظم لوحاته الأساسية، فبات السواد يتطلع إليك حيث كنت، وأضاف الخط العربيّ إلى اللوحة ليقول الحرف ما لا يقوله اللون.

أخذ ناجي من الغرب التكنيك، فكانت لوحته تلعب مع التجريد، ومن الحضارة العربية انبساط اللوحة ببعدين، فألغى البعد الثالث التي تتميّز به اللوحة في التصوير الأوروبيّ (طول وعرض وعمق)، ألغى العمق، وحدد أطراف اللوحة بالخط الأسود، وطمس العين، وأدخل الحرف والكلام على اللوحة، كما أدخل الرقش والتزيين العربيّ ذي الأصول المحلية العربية الشعبية التي لم يهتمّ بها أو يركز عليها أحدٌ من رسامي جيله (وربما الأجيال اللاحقة من مقلديه)، أعاد ناجي اللوحة إلى طفولتها وبراءة اليد.

عنترة خيال الحرية.. قصيدة العاشق

ولكن لماذا عنتر وعبلة تحديداً يا ناجي؟ «عنترة خيال الحرية التي تحمل نفسها فوق السيف. عنترة خيال العشق. ذاك الخلاسيّ من أمٍّ هي الحبشية الجارية لبيبة وأبيه الأمير العربيّ. الغرب -كما الشرق- اهتمّ به، لأنه أسود وناضل في سبيل عرقه وجنسه، إضافةً إلى أن فكره لم يكن استعمارياً، كان مناضلاً من أجل الحرية. شخصية عنترة لم تبنَ على أساس مكاسبٍ دينية أو عنفية أو طائفية أو اقتصادية، بل بنيت على أساس إنسانٍ يحاول أن يثبت وجوده ونسبه، واستطاع أن يثبت ذلك».

٥٠٣٧ لوحة حصيلة ما رسم

يصف عبيد نفسه بالفنان الأغنى في العالم، لا بالحصاد الماليّ ولكن بلوحاته، فحصيلة عمره الفنيّ ٥٠٣٧ لوحة، وفي منزله ما يملأ ثمانية غرفٍ باللوحات، عمر بعضها سبعون سنة، رسمها لمرّةٍ واحدةٍ ولم يعد لرؤيتها ثانية. كما يقتني ما يقارب ٥٠٠ لوحة يصفها بالثمينة، حاول أن يكون السبّاق إليها كما يقول، ولم يسبق لرئيس دولة أو ملياردير في العالم أن اقتناها؛ ومنها لوحةٌ للملك فيصل ملك سوريا وهي من أندر الأعمال، ولوحةٌ للشريف حسين، ولوحةٌ لأخت الملك فاروق ملك مصر، ولوحةٌ ليوسف العظمة موجودةٌ الآن في متحف المهاجرين بدمشق، ولوحةٌ لأديب الشيشكلي، ولوحةٌ لعاهل الأردن الملك حسين. كما يمتلك أندر قطعة عاج (ناب الفيل) في العالم، طولها ١٦٧ سم، على وجهها الأول رُسم يومٌ من حياة الإنسان في إفريقيا، فيما يمثل الوجه الآخر يوماً في حياة الحيوان، وكانت من مقتنيات الرئيس السوريّ الراحل تاج الدين الحسني. ويمتلك عبيد التقويم الفلكيّ لحضارة المايا والأزتيك الذي يحوي الجهات الأربع الفرعية. ويمتلك مسدس أنطوان سعادة الذي أخذه الأخير من الدوتشي موسوليني. وهو، كما يصفه: مسدسٌ صغير، ٦ ملم، صوته أقوى من الكلاشينكوف، له مشطان: مشط يتسع لـ٢٢ طلقة، وآخر يتسع لـ٩ طلقات، وطلقة واحدة في بيت النار. وضع فيه ناجي قطعتين من الذهب، ولديه ترخيصٌ من الحكومة بحيازته.

في سنواته الأخيرة يعيش ناجي من أجل لا أحد، سوى ابنه محمد الذي يصفه بغير العاديّ، ويحيل ذكائه إلى التناقض الذي جمعه -وهو عربيٌّ شمّريٌّ من آل الرشيد- بزوجته الفلسطينية، وإلى فارق العمر الكبير بينهما الذي سينتج مولوداً من اثنين، معاقاً أو خارقاً. يعتكف ناجي في مرسمه الصغير، وحيداً دون رفقةٍ سوى بعض أصوات القصف القادمة من ضواحي العاصمة، وبعض خربشاتٍ ترسمها القطط على لوحاته متجاهلةً نظراته كما وجوده.

ناجي في الطريق إلى المشفى، يقول:
- لن أعود منه هذه المرّة.
نحن نقول: «عقد زواجك مع الحياة لم ينته بعد».

برامج ومشاريع لدعم النساء والأطفال في كوباني

فتاح عيسى

مؤسسة التآخي لحقوق الإنسان، التي تعرف باللغة الكردية باسم Biratî، هي منظمةٌ مستقلةٌ غير حكومية، تأسست في ٢٠١٣/١/١ في مدينة الحسكة، ثم افتتحت فروعاً لها في مدن القامشلي وكوباني ورأس العين وتربه سبيه وتل أبيض.

ويعدّ فرع المؤسّسة في مدينة كوباني رائداً في تقديم برامج تمكين المرأة، وتقديم الدعم النفسيّ للأطفال، وخاصةً بعد الحرب التي شنتها «داعش» على المدينة، وتركت آثارها على كافة مجالات الحياة، ولاسيما على النساء والأطفال.

برنامج تمكين المرأة

يقوم برنامج تمكين المرأة بالعمل على تمكين النساء معرفياً من خلال رفع وعيهنّ بحقوق الإنسان وحقوق المرأة وكلّ الاتفاقيات والقوانين الدولية المتعلقة، إضافةً إلى التمكين المهنيّ للمرأة عبر تزويدها بالمهارات وتدريبها على العمل لمساعدتها في إعالة نفسها واعتمادها على ذاتها.

كما أن برنامج تمكين المرأة يتضمّن التمكين الإداريّ والسياسيّ من خلال تدريب النساء على الإدارة والقيادة واكتساب المهارة الكاملة في صناعة القرار.

ومن الناحية العملية أنهى فرع المؤسّسة في كوباني ثلاث دوراتٍ لتعليم النساء على الخياطة، وتمّ تخريج عشرات النساء في هذه الورشات كمتقناتٍ للمهنة، وباشرت أغلب المتخرّجات عملهنّ ضمن ورشات الخياطة في المدينة، وبدأ المركز بدورة جديدة مؤخراً. كما يقوم المركز بالإعداد لفتح دوراتٍ لتعليم مهنة الحلاقة النسائية، إضافة إلى دوراتٍ في الإسعافات الأوليةً بدعم من منظمة الهلال الأحمر الكرديّ.

وترى أغلب النساء اللواتي شاركن في الدورات المهنية، التي تستمرّ حوالي شهرين، أن المؤسّسة قدّمت لهنّ فرصةً جيدةً ليتعلمن مهنةً تساعدهنّ في إعالة أنفسهنّ.

وإضافةً إلى هذا الدعم المهنيّ قدّمت المؤسّسة -عدّة مرّات- هدايا لبعض المتدرّبات، تمثلت في ماكينة خياطةٍ لكلّ متدرّبةٍ ناجحةً، بهدف مساعدتها على البدء بعملها ضمن إمكانياتها.

وتعمل المؤسّسة على افتتاح ورشةٍ خاصّةٍ لتأمين العمل للنساء اللواتي يتخرّجن في هذه الدورات في المستقبل.

برنامج حماية حقوق الطفل

يدير هذا البرنامج مركز أصدقاء الطفولة. وتضمّن عمله إقامة ورشاتٍ تدريبيةٍ لأعضاء مؤسّسة التآخي في مدينة عنتاب التركية حول كيفية التعامل مع الأطفال. وحالياً يقوم المركز بتقديم ورشاتٍ تدريبيةٍ للأهالي حول حقوق الطفل، وذلك بهدف معرفة كيفية التعامل مع أطفال الأزمة بالشكل الأفضل. كما يقدّم المركز، وبشكلٍ دوريٍّ، عدّة دوراتٍ لتقديم جلسات دعمٍ نفسيٍّ للأطفال، إضافةً إلى حصصٍ في تنميةٍ مواهبهم، ودروسٍ عمليةٍ في الرياضة والرسم والفنون وتعلم اللغة، بهدف إبعادهم عن أجواء الحرب التي عاشوها خلال الفترات الماضية، ومحاولة إعادة تكييفهم مع الأوضاع الحالية.

وبحسب المشرفة على البرنامج، جيهان بري، فإن الورشات التي يقوم بها مركز أصدقاء الطفولة ورشاتٌ ترفيهيةٌ وليست تعليمية، هدفها إبعاد الأطفال عن أجواء الحرب، من خلال أجواء الترفيه التي يوفرها المركز للأطفال، إضافةً إلى التواصل مع الأهالي لحلّ مشاكل الأطفال النفسية، إذ يقيم المركز دوراتٍ خاصةً لأهالي الأطفال المستهدفين بالدورات بغية تأهيل الأهالي حول كيفية التعامل مع الأطفال الذين يعانون من مشاكل نفسيةٍ نتيجة الحروب.

حالةٌ غريبةٌ كانت موجودةً في مركز أصدقاء الطفولة، تؤكد التأثير السلبيّ للحروب على نفسية الأطفال، وهي حالة الطفل ميركان ذي الستّ سنوات، الذي لا ينام دون أن يأخذ معه «عصا» من أجل قتال «داعش» في حال جاءت إلى مدينته مساءً، مما يؤشر إلى حجم تأثر الأطفال بالمجزرة التي ارتكبتها «داعش» في ليلة ٢٥ حزيران ٢٠١٥، خاصةً وأن أهالي الأطفال ظلوا يتحدثون عن المجزرة وتفاصيلها لعدّة أشهرٍ أمام أطفالهم.

يواجه المركز هذه الحالة وحالاتٍ أخرى أكثر تعقيداً، ويعمل على إيجاد حلولٍ عمليةٍ لها من خلال اختصاصيين في الإرشاد النفسيّ، بالتعاون مع أهالي الأطفال، رغم أن المركز يحتاج إلى تدريباتٍ خاصّة من اختصاصيين عالميين لمعرفة كيفية التعامل بالشكل الأنسب مع مثل هذه الحالات، كما أن ما تحتاجه المدينة أكثر من عمل هذا المركز بكثير.

برنامج التوعية الحقوقية للمجتمعات المحلية

يسعى برنامج التوعية الحقوقية للمجتمعات المحلية إلى نشر المفاهيم الحقوقية بطابعها الدوليّ الأمميّ بين المجتمعات التي تعمل المؤسّسة في وسطها، إذ تفرّدت المؤسّسة بترجمة الاتفاقيات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة إلى اللغة الكردية. ويهدف البرنامج إلى إيصال التوعية الحقوقية لأكبر عددٍ من الناس من كافة الشرائح الاجتماعية. وتصدر المؤسّسة كافة كرّاساتها باللغتين العربية والكردية، وتوزّعها في المنطقة حسب الإمكانيات المتوفرة.

برنامج رصد وتوثيق انتهاكات حقوق الإنسان

ويعدّ من أهم البرامج التي تقوم بها المؤسّسة من خلال فريقها الخاصّ برصد ومتابعة الانتهاكات التي تحدث في المنطقة، وذلك من خلال جمع المعلومات والأدلة، ثم نشر البيانات بشكلٍ دوريٍّ على شكل تقارير خاصة حول الأحداث المأساوية. ويعدّ توثيق الانتهاكات التي حدثت في مجزرة حزيران ٢٠١٥ من أهم الأعمال التي قامت بها المؤسّسة في كوباني، إضافة إلى الانتهاكات التي يقوم بها الجيش التركيّ في حقّ المدنيين من ضربٍ واعتقالٍ وقتلٍ أثناء اقترابهم من المناطق الحدودية.

وتؤكد المؤسّسة أن عملية التوثيق هدفها تأمين حقوق الضحايا من المدنيين والعزل، بعيداً عن تحويل هذه الانتهاكات إلى مكاسب سياسيةٍ لصالح أيّ طرفٍ من أطراف النزاع في المنطقة. وتقوم المؤسّسة بإصدار بياناتٍ صحفيةٍ حول الانتهاكات التي قد تحدث أو الانتهاكات الحاصلة في المنطقة. ويتشارك البرنامج في نشر تقارير عامةٍ مع منظماتٍ محليةٍ وعالمية.

برنامج السلام

ويتضمن حملاتٍ تقوم بها المؤسّسة باسم «سبعة أيام من أجل السلام» سنوياً في ذكرى يوم السلام العالميّ. إذ قامت المؤسّسة بورشةٍ توعويةٍ عن أهمية السلام، ووضع لافتاتٍ في شوارع مدينة كوباني للتذكير بيوم السلام العالميّ، وتوزيع بروشوراتٍ وكرّاساتٍ على المواطنين في هذا اليوم للتعرّف على الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالسلام.

برنامج دعم المدافعين عن حقوق الإنسان

وتقوم المؤسّسة من خلاله بتسليط الضوء على المدافعين المحليين عن حقوق الإنسان وتكريمهم. ولدى المؤسّسة جائزتان للمدافعين عن حقوق الإنسان، إحداهما جائزةٌ دوليةٌ تمنح للمدافعين الدوليين، باسم «جائزة رزان زيتونة» لدعم المدافعين عن حقوق الإنسان، وتمنح في اليوم الدوليّ لحقوق الإنسان. وقد قرّرت لجنة الجائزة منحها للنائبة الكردية الإيزيدية العراقية فيان دخيل للعام ٢٠١٥، تقديراً لجهودها الكبيرة في الدفاع عن حقوق الإنسان وما بذلته من جهودٍ خاصة في مأساة الكرد الإيزيديين في قضاء شنكال بُعيد اجتياحه من قبل تنظيم «داعش».

وتقدّم المؤسّسة جائزةً بنفس المناسبة باسم «جائزة التآخي» لدعم المدافعين المحليين عن حقوق الإنسان. كما تقدّم المؤسّسة منحاً ماليةً لمن تعرّضوا لظروف الاعتقال والحياة الصعبة نتيجة دفاعهم عن حقوق الإنسان.

بونجور مدام.. أورس بو

نبيل الملحم

حروب قنّاصين، واختبارات سلاح.. تسوياتٌ ومصالحات، تقسيمٌ وإعادة رسم جغرافيات، هوياتٌ جديدةٌ من الهاوية إلى الهاوية، و«الثورة» سـ«تنتصر»، وما زال رافعو شعاراتها على بوابة الحجيج وقد انتهى موسم الحجّ لحسابات ليست على صلةٍ بالله، ولم تتعرّف طعم الأوثان.. وتغيّرت الوقائع ولم يتغيّر الكلام.

هذا العالم لا تكفيه الكآبة، هو كذلك، ولأنه قد بات على هذه الدرجة من السأم والإملال كان عليه أن يغيرّ شروطه أو يغيّرنا، و:

- نعاهده بأن نتغيّر.

نعم، سنطرق أكفنا على صدورنا، فوق القلب بإصبعٍ أو إصبعين، لا، بل على بوابة القلب ونقول:

لِمَ لا نتغيّر، ألم يقل الكاتب الفذّ ياسوناري كاواباتا وهو يمدّ يده ليحصد جائزة نوبل: «لكي نقهر الكآبة علينا أن نقهر التاريخ؟».

- التاريخ.

نحن لم نقرأه. ولو كنا فعلنا ذلك، كما المصابين بلعنة الحاضر، لعرفنا أننا دولٌ قامت بالسيف، وها هي تتفكك بالسيوف، بعد أن رسمت بالقلم والممحاة، ونخاف التقسيم.

- متى لم نكن مُقسّمين؟

لصاقاتٌ من البشر، مرصوفين كما أحجار الدامة، ما إن تهتز الرقعة حتى نتبعثر فوقها وعلى أطرافها، ولم يكن لنا من خياراتنا خيار.

- يدٌ ممتدةٌ إلى الفرنسيّ، ويدٌ ممدودةٌ إلى الإنكليزيّ، ويدٌ تتسول الأمريكانيّ، ويدٌ يقطعها العثمانيّ، واليوم «يدٌ إلى الروسيّ» وبعدها إلى الإيرانيّ. وها هي اللعنة السورية تقولها، وبالفم الملآن:

- أيها السوريّ (إن بقيت سوريا).

ولن تبقى، وخذوها مني:

ذات يوم لعنّا خالد بكداش حين قال إن إسرائيل «أمة في طريق التكوين»، وكان علينا أن نلعن من يقول إننا «أمّة»، أمّة ما.. أيّ أمّة.. أمّة لصوص.. فاقدي الأمل، مرميين على القارعة، نأكل بعضنا بعد أن فقدنا كل ما نشتهيه.

هي الأمم تتشكل على واحدٍ من طريقين:

- طريق التراكم، ولم نراكم، فاللاحق يلعن السابق.

- وطريق خيارات الناس، ولم يكن للناس لا صندوق اقتراعٍ ولا جامع يجمعهم سوى القبضة والبسطار.. حتى البازار لم يجمعنا كما حال السوق وقد أنتج الأمّة في ما اخترع من منتجات.

جمعنا البسطار، ومن جمعنا هو من يفرّقنا، والجمع القسريّ لا بدّ أن ينتهي بالتفكيك القسريّ. كان هذا واقع الحال، وكانت هذه وقائع الحياة، وما دام الأمر كذلك فلا بد أن نخرج من كآبة التاريخ.. نخرج منه دون أن نسأل إلى أين؟ ما عمق الحفرة اللاحقة بعد كل الغرق في الحفر السابقة؟ وخذوا خياراتنا التي كتبتها الأيام السابقة من حفنة تاريخ بلد:

- تعيش تحت وابل الإلغاء.. إلغاء حتى «اللغة»، أو الرقصة أو اسم الوليد.

أو، تذهب إلى الطلاق، فالطلاق الودّي أرفع شرفاً من زيجات الاغتصاب، ولكن لنتأمل في القادم من الأيام:

سنكون كمشات بشر، دولاً ملصقةً بدول، متآكلةً متناحرة.. هذا ما تقوله كل الاحتمالات، ولكن:

- لن تكون لنا هولندا، وهي بحجم زقاقٍ من دمشق، ولها من الأبقار ما يجعلها تسابق دول السلاح.

سنكون زواريب دول، زواريب تقتتل بعد أن كنا أوتوسترادات تقتتل أيضاً.. فالصيغة الصومالية لا بد وأن تكون إنجيلنا، ولم لا تكون ما دامت خياراتنا السابقة قد اختزلت بين السيف والبسطار؟

- سيف داعش، أو بساطير الثكنات؟

«واحد.. واحد.. واحد» أيّ واحد ذاك.. وأيّ وليمة كان؟

سنتغير، سيكون الحال كذلك، ولن يكون أسوأ حالاً مما كان عليه الحال.

هي الخرائط الجديدة.. دولٌ تتناسل من دول، ومع كل دولة جديدة سيّاحٌ جدد، يلتقطون الصور التذكارية مع دليلٍ سياحيٍّ يقود حماراً مزيّناً بالأعلام.

سيكون الحال كذلك، وسنحكي بكل اللغات:

- بونجور مدام.. سي سينيور.. هاللو سير. وحين يكون الوقت للعثمانيّ لن نعرف من اللغات سوى:

- أورس بو.

#منقدر

حملة «منقدر» حملة إعلامية تفاعلية سورية تطلقها شبكة أمان.

حملة «منقدر» هي مساحة للأفراد والمنظمات السورية للتعبير عما يتمنون وما سيقومون بعمله من أجل بناء سوريا.

«منقدر» حملة من أجل التركيز على الطاقة المنتجة الإيجابية وقيم التعايش السلمي وقبول الآخر التي هي جزء من قيم المجتمع السوري.

انضم إلى حملة «منقدر» الإعلامية بمشاركتنا: «شو بتقدر تعمل منشان سوريا؟» بمفردك أو مع مجموعتك، وشاركنا الجواب بأحد الطرق التالية على إيميل الشبكة:

Amannet.peace@gmail.com

١- إرسال الجواب على الإيميل أو على صفحة الفيسبوك.

٢- صورة فوتوغرافية تحمل الإجابة.

٣- مقطع فيديو صغير تصور فيه نفسك وجوابك على السؤال.

انضم إلى حملة «منقدر» التفاعلية من خلال تواصلك عبر الإيميل أو على صفحة الفيسبوك لتتعرف على النشاطات المقامة ضمن حملة «منقدر» في منطقتك.

شبكة أمان هي شبكة سورية من شخصيات ومنظمات فاعلة ومؤثرة ممن يعملون لبناء السلم المحلي والوطني في سوريا، ويعملون بقيم: السلم، والحرية، والإنسانية، والمصداقية، والشفافية، وقبول الآخر والعدالة، وتقوم الشبكة بحل النزاعات وتجنبها وإدارتها.

تساهم شبكة أمان في بناء السلم الوطني في سوريا من خلال تعزيز السلم المحلي في مناطق مختلفة من سوريا.

https://www.facebook.com/aman.network.peace

ولادة جديدة

عمل للفنان السوري ديلاور عمر | Delawer Omar